استشراق
دعاوى
الاستشراق

محمد سيد صالح

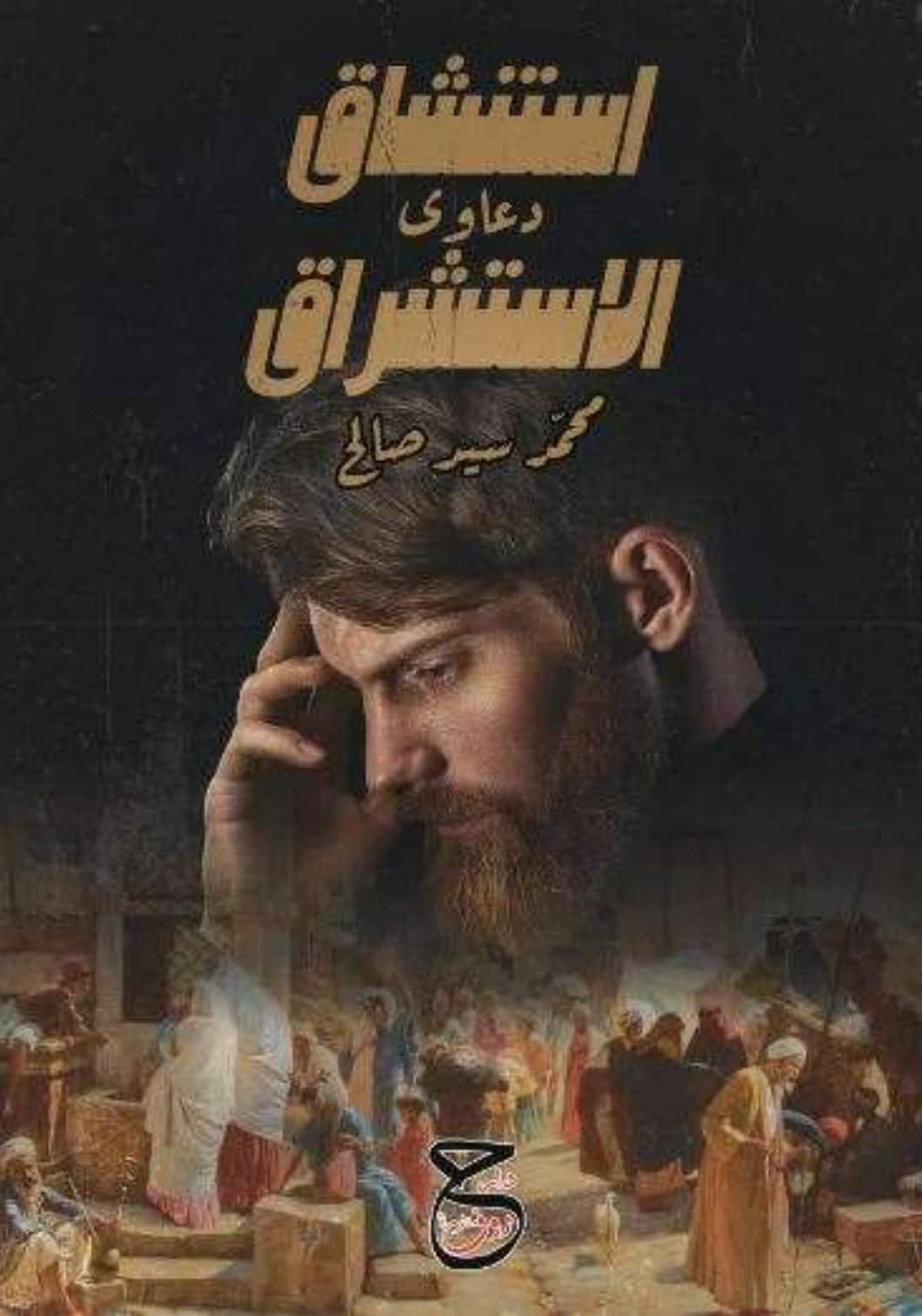

استنشاقُ دعاوي الاستشراق

دار حروف منثورة للنشر والتوزيع

مؤسس الدار
مروان محمد

الطبعة الأولى

الكتاب: استنشاقُ دعاوي الاستشراق

المؤلف: محمد سيد صالح

تصنيف الكتاب: فكر إسلامي

تصميم الغلاف: أحمد جابر

تنسيق داخلي: فريق الدار

مراجعة لغوية: عبد المعز صفوت

رقم الإيداع:٢٠٢١/٣٠٦٠٣م

الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٦٨٦٧٢٢٢

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook

Fan page: http://facebook.com/herufmansoura

Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com

هاتف جوال: ٠٠٢٠١١١٣٠٠٦٢٩٦ – هاتف جوال: ٠٠٢٠١٠٦٤٠٥٤٩٩٥

دار حروف منثورة للنشر والتوزيع لا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء سواء بالنشر مع الغير أو بأي وسيلة أخرى.

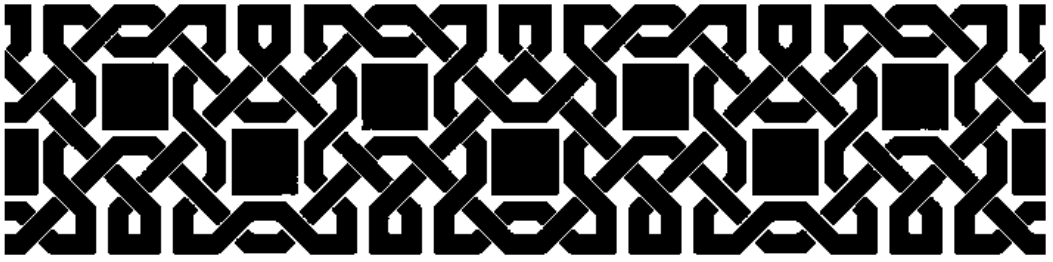

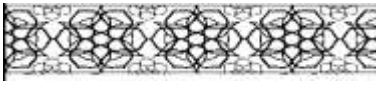

استنشاقُ دعاوي الاستشراق

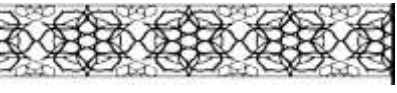

محمد سيد صالح

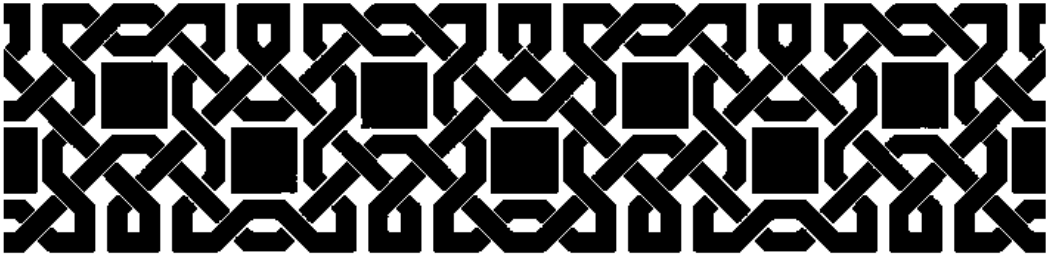

إهداء

إلى أبي العطوف، الذى يسعد دائمًا بكل إنجازٍ أفعله وأرى ذلك في عينيه حينما يرى اسمي على كتابٍ أو على شاشة التلفاز.

إلى أمي الحنونة.. لا أجد كلماتٍ يمكن أن تمنحها حقها، فهي ملحمة الحب وفرحة العمر، ومثال التفاني والعطاء.

إلى إخوتي... سندي وعضُدي ومشاطري أفراحي وأحزاني.

إلى زوجتي.. الحبيبة الصديقة رفيقة الدرب، التي دائمًا يكون لها النصيب الأكبر في إنتاج أبحاثي ومؤلفاتي.

إلى ابني وابنتي.. فلذتي كبدي اللذين أرجو الله لهما أن يكونا من علماء الدين والدنيا لينفعا الأمة، ويقال هذان عالمان من علماء المسلمين؛ خاصةً في هذا الزمن الذي قلَّ فيه العلماء.

إلى معلمتي، التى لم أشعر يومًا أنها دكتورة مادة أدرسها؛ بل دوما أشعر معها بكونها الأم الحنون التي لم تبخل علينا بكل ما هو جميل فضيلة الدكتورة (وفاء العمري).

الفهرس

إهداء ٦
المقدمة ١٢
الفصل الأول: الاستشراق ٢٢
المبحث الأول: الاستشراق لغةً واصطلاحًا ٢٤
المفهوم اللغوي للاستشراق: ٢٤
المفهوم الاصطلاحي للاستشراق: ٢٤
المستشرقون: ٢٦
المبحث الثاني: عوامل نشأة الاستشراق ٢٧
أولًا: كيف كان يعيش الغربيون قبل الإسلام؟ ٢٧
نشر الإسلام في بلاد الأندلس: ٢٨
ثانيًا: العوامل التي مهدت لطمع الصليبين بالمسلمين: ٣٠
المبحث الثالث: دوافع الاستشراق ٣٤
أولًا: الدافع الديني ٣٤
ثانيًا: الدافع الاستعماري ٣٥
ثالثًا: الدافع الاقتصادي ٣٧
رابعًا: الدافع السياسي ٣٨
خامسًا: الدافع العملي ٣٩
المبحث الرابع: (تاريخ نشأة الاستشراق) ٤٠

الاستشراق ٤٠
المبحث الخامس: (وسائل المستشرقين) ٤٣
..... ٤٨
الفصل الثاني ٤٨
افتراءات المستشرقين ٤٨
تمهيد ٥٠
المبحث الأول: معنى القرآن لغةً واصطلاحًا ٥٢
معنى القرآن لغة: ٥٢
تعريف القرآن الكريم اصطلاحًا: ٥٤
المبحث الثاني: افتراءات المستشرقين على كتاب الله ٥٦
المبحث الثالث: إثبات حجية القرآن الكريم وأنه من عند الله وليس من عند بشر ٦٠
المبحث الرابع ٦٤
الإعجاز بالقرآن الكريم: ٨١
المبحث الخامس: الردُّ على دعاوى المستشرقين حول القرآن الكريم ١٠١
القرآن فيه اخطاء لغوية: ١٠١
الحروف المتقطعة بالقرآن: ١٠٣
إحراق عثمان للمصاحف: ١٠٧
إقتباس القرآن: ١٠٩

قوامة الرجل: ١١٣
ضرب المرأة: ١١٥
المرأة والميراث: ١١٨
شهادة المرأة نصف شهادة الرجل: ١٢١
الإسراء والمعراج: ١٢٦
انتشار الإسلام بالسيف: ١٢٩
جهاد الدفع: ١٣٢
جهاد الطلب: ١٣٥
الاسترقاق: ١٣٨
التوصيات ١٤٧
الخاتمة ١٤٩
تحدٍ بسيطٌ وشامل: ١٥١
المراجع والمصادر ١٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله، الذي جاء بالحق المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الباطل ما برح يحارب الحق بسيوفه المفلولة، وشبهاته الضئيلة، وإنَّ العصور ما برحت تلد من الضالين المعاندين والمضلين المخادعين من يحاولون ردَّ الناس عن أديانهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ولئن كانت الضلالات كثيرةً متنوعة؛ فإنَّ أشرَّها وأخسها حركة الاستشراق، هذه الحركة التي نشأت على يد جمعٍ من اليهود والنصارى وأعداء الدين، فتربى في أحضانهم وأخرج نباته النَكِد.

أما بعد: فلما كان الاستشراق يتمثل في دراسة الغربيين لثقافات الشرق ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم وجغرافيتهم وتاريخهم وحدودهم.. إلى غير ذلك؛ حتى يتوصلوا من خلال فهم

كل ما يتعلق بالشرق وحضاراته إلى مرادهم، فكان واجبًا على المسلم أن يبدأ هو بدراسة كل ما يتعلق بحضارات الغرب ليصل إليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته العصماء إلى أنحاء المعمورة، وليأمن مكرهم وخداعهم، وهذا المنهج الذي يتمثل في معرفة ثقافة الغير هو منهجٌ إسلامي لا إشكال فيه؛ فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحد كتاب الوحي وهو (زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري) رضى الله عنه، أن يتعلم لغة اليهود (اللغة السيريانية)، فقد روى الترمذي بسنده عن زيد بن ثابت قال:
" أَمرنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلَّم لَه كلماتٍ من كتابِ يهود، وقال: إنّي والله ما آمنُ يهودَ على كتابي، قال فمَا مرَّ بي نصفُ شهرٍ حتى تعلمته له"..[1] فتعلم هذه اللغة في خمسة عشر يومًا.

إذن تعلُّم ثقافاتِ المخالفين من فروض الكفاية، فنحن أمةُ دعوةٍ ووجب علينا إيصال الدعوة في كل مكانٍ وبكل لسانٍ؛ فكيف إذن نتواصل مع الأعاجم دون معرفة اللغة التي يتواصلون بها؟! وكيف نأمن شرورهم إن لم نكن نعلم لغاتهم وثقافاتهم وفنونهم وعاداتهم؟! .

ولكن العيب -كلَّ العيب- أن نتعلم لغة الآخرين وحضاراتهم لندلِّس عليهم أو نجتزئ وننتقي من ثقافاتهم ما نريد لنشوِّه تاريخهم

[1] رواه الترمذي

وحقائقهم كذبًا وبهتانًا؛ فهذا من المنهي عنه في ديننا العظيم الذي أمر بكل ما هو جميل ونهى عن كلّ ما هو قبيح؛ قال تعالى:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٨)) [٢]
فالمسلم عندما يقوم فإنه يقوم بالحق والعدل لا بالجور والظلم.
وهذا بخلاف ما كان عليه ومازال كثير من المستشرقين الذين درسوا ثقافات المسلمين ودينهم ليشوهوا دين الله الحق ويشككوا الناس في أمور دينهم ودنياهم، ويزعزعوا العقيدة الحق في نفوسهم، لذا فكان علينا اليقظة والانتباه لمخططاتهم ويكون هذا بعدة أمور منها:

أولاً: تعزيز اليقين وتأسيسه في قلوب المسلمين ونشئهم قال تعالى:
(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠٩)).[٣]
فكلما كان الأساس راسخًا قويًا ثابتًا ثبت البنيان وسلم من التداعي والسقوط بين يدي هؤلاء من المغرضين.

---

[٢] القرآن ، المائدة ، ص ٨
[٣] القرآن ، التوبة ،ص ١٠٩

ثانيًا: بعدما نتأسس عقائديًّا ونحيط أنفسنا بالبرهان الذي يملأ قلوبنا بالإيمان علينا باستنشاق ألاعيب المستشرقين وفهمها لنزفر منها بعد ذلك كل خبيث.

وقد يظن البعض أن الاستنشاق يأتى مع الأشياء الإيجابية أو الجيدة فقط.. فى حين أن يومنا ملئ باستنشاق عوادم السيارات والأغبرة والروائح الكريهة وغير ذلك.. كذلك المستشرقون يبثون سموم وأفكار سلبية كثيرة جدًا ويشوهون ويدلسون ويغيرون الحقائق؛ ومنا من يصدقها ويملأ صدره وقلبه بأفكارهم..

ومن هنا كان عنوان هذا البحث (استنشاقُ دعاوي الاستشراق) الذي أحمله معنيين:

الأول: استنشاق ألاعيبهم لنكون على علمٍ كافٍ بهم بعد الرسوخ في ديننا.

الثاني: حتى لا يستنشق أبناؤنا ألاعيبهم وأكاذيبهم قبل الرسوخ في ديننا.

محمد سيد صالح

هيكلة البحث

إهداء.

المقدمة.

الفصل الأول: الاستشراق.

وتحته خمس مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحاً.

المبحث الثانى: عوامل نشأة الاستشراق.

المبحث الثالث: دوافع الاستشراق.

المبحث الرابع: تاريخ نشأة الاستشراق.

المبحث الخامس: وسائل المستشرقين.

الفصل الثانى:

افتراءات المستشرقين على كتاب الله عز وجل.

وتحته تمهيد، وخمس مباحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن لغة وإصطلاحاً.

المبحث الثانى: إثبات حجية كتاب الله بالنظرة الحاكية.

المبحث الثالث: إثبات حجية كتاب الله بمعايير الحق وميزانه.

المبحث الرابع: افتراءات المستشرقين على كتاب الله.

المبحث الخامس: الرد على افتراءات المستشرقين.

توصيات.

الخاتمة.

المراجع والمصادر.

هذا ما يسر الله تقييده، وأعان على إتمامه، فعسى أن يكون فيه فائدة، وإيضاح لهذه الحركة.
والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على خير الأنام.

الأمة الإسلامية هى الوحيدة التى تهتم بأدق الدقائق لتصل إلى أحق الحقائق..

محمد سيد صالح

الفصل الأول: الاستشراق

المبحث الأول: الاستشراق لغةً واصطلاحًا

المفهوم اللغوي للاستشراق:

إنَّ كلمة (استشراق) مصدر للفعل (استشرَق)، والمعنى طلب الشرق، وأصله فعل ثلاثي (شَرَق) مزيد بثلاثة أحرف: (الألف والسين والتاء)، كما في استغفر.. طلب الغفران، واستفهم، طلب الفهم، والذاكرة المعجمية تشير إلى أنَّ لفظة (شرق) من: شَرَقَت الشمسُ تشرُق شُروقًا وشَرُقًا، أي طلعت واسم الموضع (المَشْرِق)، و(الشَّرْق) جهة شروق الشمس، و(شرَّق) أخذَ في ناحية المشرق، وكل هذه المعاني اللغوية لا تكاد تؤثل لمفهوم الاستشراق أو تجلّي عن كنهه الاصطلاحي.[٤]

المفهوم الاصطلاحي للاستشراق:

تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين: (شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية،

---

١ شبكه جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية ٢٠١٨/٥/١٦

وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوزٍ وخيرات، وحضاراتهم وكلُّ ما يتعلق بهم)[٥]

وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذى يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين أو غير مسلمين، لخدمة أغراض التبشير من جهةٍ، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهةٍ أخرى، ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية، وتجزئتها وتفتيت وحدتها. [٦]

ثم توسعت الدراسات الاستشراقية بعد توسع الاستعمار الغربي في الشرق، فتناولت دراسة جميع ديانات الشرق، وعاداته، وحضاراته، وجغرافيته، وتقاليده، ولغاته، وكلِّ ما يتعلق به.

والاستشراق لا يقترن بزمنٍ ومكان معينين أو بنمطٍ ثقافي من دون آخر. فالاستشراق دراسةٌ اجتاحت تخصصاتٍ كثيرة ومتنوعة منها الإنسانية ومنها العلمية والعملية والفكرية.. إلخ.[٧]

والهدف الأساسي من وراء دراسة الغربيين لكل ما يتعلق بالشرقيين، هو محاولة إدراك نقاط قوى المسلمين ليضعفوها، ونقاط ضعف المسلمين ليستغلوها ويتخللوا منها ليبثوا سمومهم بين المسلمين.

---

[٥] أجنحة المكر الثلاثة ،ص ١٢٠

[٦] المصدر السابق ١٢٠

[٧] شبكة جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية ٢٠١٨/٥/١٦

المستشرقون:

هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراستهم ونصائحهم ووصاياهم:

١ – للمبشرين بُغية تحقيق أهداف التبشير .

٢ – وللدوائر الاستعمارية بغيه تحقيق أهداف الاستعمار .

والكثير من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي فهم بمقضي مهنتهم أصحاب مهماتٍ تبشيرية.

وآخرون منهم موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشؤون الاستعمار بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك.

واندسَّ في الاستشراق يهودٌ كثيرون ينافقون النصارى ويخدمون سرًا أهدافًا يهودية ضمن المخطط اليهودي العام.[٨]

ونستطيع أن نسمي المستشرقين جواسيس، مهمتهم التجسُّس على الشرق عامة، والإسلام خاصةً؛ لصالح مصالح النصارى، واليهود، والاستعمار.

---

[٨] أجنحة المكر الثلاثة ،ص ١٢١

المبحث الثاني: عوامل نشأة الاستشراق

إنَّ معرفة وتحديد عوامل نشأة الاستشراق يتطلب معرفة الظروف البيئية التي كانوا يعيشون فيها والتجارب التي مرَّ بها المستشرقون والتي دفعتهم لذلك.

أولًا: كيف كان يعيش الغربيون قبل الإسلام؟

من المفيد جدًّا أن نتعرَّف على حالة أوروبا والوضع الذي كانت عليه

-وبخاصةٍ بلاد الأندلس- عند الفتح الإسلامي، وكيف تغيَّر هذا الوضع وهذه الحال بعد دخول أهل هذه البلاد في الإسلام؟

كانت أوروبا في ذلك الوقت تعيش فترةً من فترات الجهل والتخلُّف البالغ، فكان الظلم هو القانون السائد؛ فالحكَّام يمتلكون الأموال وخيرات البلاد، والشعوبُ تعيش في بؤسٍ شديد، واتخذ الحكَّام القصور والقلاع والحصون؛ بينما عامة الشعب لا يجدون المأوى ولا السكن، وإنما هم في فقرٍ شديد، بل وصل بهم الحال إلى أن يُباعُوا ويُشتَرَوا مع الأرض، وكانت الأخلاق متدنِّية، والحرمات مُنتهكة، وبَعُدَ حتى عن مقومات الحياة الطبيعية؛ فالنظافة الشخصية -على سبيل المثال- مختفية؛ حتى إنهم كانوا يتركون شعورهم تنسدل على وجوههم ولا يُهَذِّبونها، وكانوا -كما يذكر

الرحَّالة المسلمون الذين جابوا هذه البلاد في ذلك الوقت- لا يستحمُّون
العام إلاَّ مرَّة أو مرَّتين؛ بل يظنُّون أنَّ هذه الأوساخ التي تتراكم على أجسادهم هي صحَّةٌ لهذا الجسد، وهي خيرٌ وبركة له!.
وكان بعض أهل هذه البلاد يتفاهمون بالإشارة، فليست لهم لغةٌ منطوقة؛ فضلًا عن أن تكون مكتوبة، وكانوا يعتقدون بعض اعتقادات الهنود والمجوس من إحراق المتَوَفَّى عند موته، وحرق زوجته معه وهي حيَّة، أو حرق جاريته معه، أو مَنْ كان يُحِبُّه من الناس، والناس يعلمون ذلك ويُشاهدون هذا الأمر، فكانت أوروبا بصفةٍ عامَّة قبل الفتح الإسلامي يسودها التخلُّف والظلم والفقر الشديد، والبُعد التامُّ عن أي وجه من أوجه الحضارة أو المَدَنية؛ ودامت همجية أوروبا البالغة زمنًا طويلًا من غير أن تشعر بها، ولم يبدُ في أوربا بعض الميل إلى العلم إلاَّ في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر الميلاديين.[٩]

نشر الإسلام في بلاد الأندلس:

بعد أن تمكن المسلمون من توطيد أركان الدوله الإسلامية في هذه البلاد بدأوا يعلِّمون الناس الإسلام، دين الفطرة، فقد أقبل عليه أصحاب الفطرة السوية من الناس عندما عرفوه، فاختاروا بلا تردد، فقد وجد الإسبان في الإسلام دينًا متكاملًا شاملًا ينظم كل أمور الحياة، وجدوا فيه عقيدة واضحة وعباداتٍ منتظمة، وجدوا

[٩] كتاب تاريخ الأندلس من الفتح إلي السقوط ، دكتور محمود علي مكي ، دار الهلال ، ص ١٦-١٧

فيه تشريعاتٍ في السياسة والحكم والتجارة والزراعة والمعاملات، وجدوا فيه تواضع القادة الفاتحين، وجدوا فيه كيفية التعامل والتعايش مع الأخ والأب والأم والزوجة والأبناء والجيران والأقرباء والأصدقاء، ووجدوا فيه كيفية التعامل مع العدو والأسير.. مع كل الناس.

لقد تعوَّد الإسبان في حياتهم -قبل ذلك- فصلًا كاملًا بين الدين والدولة، فالدين عندهم لا يعدو أن يكون مجرَّد مفاهيم لاهوتيةٍ غير مفهومة، يتعاطونها ولكن لا يستطيعون تطبيقها، وفي التشريعات والحكم يشرع لهم من يحكمهم وفق هواه وحسبما يحقق مصالحه الشخصية، أما في الإسلام

فقد وجدوا أنَّ الأمر يختلف عن ذلك تمامًا؛ فلم يستطيعوا أن يتلحقوا على الارتباط به والانتساب إليه، فدخلوا فيه أفواجًا.

وفي مدة قليلة أصبح عموم أهل الأندلس (السكان الأصليون) يدينون بالإسلام، وأصبح المسلمون من العرب والأمازيغ (البربر) قلةً بينهم، وأصبح أهل الأندلس هم جند الإسلام وأعوان هذا الدين، وهم الذين اتجهوا بعد ذلك إلى فتوحات بلاد فرنسا.

وعملوا علي إلغاء الطبقية ونشر الحرية العقائدية:

ألغى المسلمون الطبقية التي كانت سائدةً قبل ذلك؛ حيث جاء الإسلام وساوى بين الناس جميعًا، حتى كان الحاكم والمحكوم يقفان سويًا أمام القضاء للتحاكم في المظالم، وعمل المسلمون في

هذه الفترة على إتاحة الحرية العقائدية للناس؛ فتركوا للنصارى كنائسهم، وما هدموها قط، وما كانوا يحولونها إلى مساجد إلا إذا وافق النصارى على بيعها لهم، وكان بيع الكنائس للمسلمين يقدَّر بأثمان باهظة، أما إن رفضوا بيعها تركها المسلمون لهم .[١٠]

فلما رأى الغرب أنَّ الحضارة الإسلامية عملت على زعزعة أسس العقيدة لدى الغربيين، بعدما أعادات للناس كرامتهم وحرياتهم وآدميتهم ما شكك المجتمع المسيحي بالتعاليم التي أخذوها عن رجال الدين عندهم، فقاموا بالهجوم على الإسلام وذلك لصرف الغربيين عن نقد عقيدتهم وكتبهم المقدَّسة، وكان هذا عن طريق دراسة عقائد المسلمين ومذاهبهم وشعائرهم ورموزهم ليصلوا إلى نقاط القوة والضعف عند المسلمين فيضعفوا نقاط القوة ويتخللوا بينهم من نقاط ضعفهم.

ثانيًا: العوامل التي مهدت لطمع الصليبين بالمسلمين:

تواطأت الدول النصرانية كلها على الإسلام والمسلمين منذ بيتت المكيدة ودبَّرت الخطة، وأعدت العدة للحروب الصليبية، ثم قامت فعلًا بهذه

[١٠] انظر المصدر السابق

الحروب وقدمت لها حشودًا كبيرة من رجالها، وأموالها وأعتدتها وهذا
بسبب ما وقع في المسلمين من وهنٍ وبُعدٍ عن تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا، وبعد جمهور الإسلام عن فهم الإسلام فهمًا سليمًا، وتنازع حكام
وأمراء المسلمين من أجل السلطة، وتعلق جماهير المسلمين بحب الدنيا، والانغماس في الشهوات، واتباع الهوى، والبخل بالأموال والأنفس، وكراهية الموت، وضعف اليقين والثقة بالله والنفس.
كل هذا أطمع الصليبين في السيطرة على المسلمين واستعمارهم.
• الحروب الصليبية أيقظت المسلمين من نومهم.
هنا أتذكر مقولة الإمام الشافعي رحمه الله لما سُئل أيهما أفضل، أن يتمكن الإنسان من دينه أم يُبتلى في دينه؟ فرد الإمام قائلًا:
"وهل يتمكن الإنسان إلا بعد أن يُبتلى؟!".
فالشاهد أنَّ ما حدث للمسلمين من ابتلاءٍ في دينهم ووهنٍ ومحاولات غزوهم من قِبل الصليبين أيقظتهم مرة أخرى ومكَّنتهم، فكانت الحروب الصليبية عاملًا محركًا للمسلمين، وموقظًا لهم من نومهم، حتى يلتفتوا إلى سهام عدوهم التي بدأت تجتاز الثغور إلى مقاتلهم، وعملوا على ترميم القواعد التي تآكلت من بنيانهم، وعادوا للإسلام الحق مرةً أخرى فقيض الله للمسلمين الشهيد (نور الدين) ثم (صلاح الدين الأيوبي)، ثم فيضًا آخر من أبطال المسلمين، وتم جلاء الصليبين من بلاد المسلمين بعد حقبةٍ من الزمن، ولم يتم للمسلمين النصر إلا بمقدار ما أصلحوا من واقعهم، وقوَّموا من مُعوجِّهم، واجتهدوا وجهدوا في إزالة عوامل الضعف،

وبعدما عادوا مجددًا إلى الله؛ فالنصر والتمكين من الله وحده مع الأخذ بأسباب النصر والعزة.
وبعد ما مكَّن الله -سبحانه وتعالى- المسلمين وعملوا على جلاء الصليبين من بلادهم، أثَّر هذا على نفوس الصليبيين وجعلهم يفكرون في ترك الحروب المسلحة بالعدَّة والعتاد والتوجه إلى نوعٍ آخر من الحروب والغزوات وهو الغزو الفكري.
والغزو الفكري سيطرته أقوى وأخطر من الغزو العكسري ويطول مداه إلى قرون عديدة.

• تجربة الحروب أقنعت الصليبيين بضرورة التحول إلى مخططٍ آخر،
كان مخطط مدبري الحروب الصليبية القيام بحربٍ مادية مسلحة بالأسلحة العسكرية لغزو بلاد المسلمين، واستلاب أموالهم، وهدم حضارتهم،
وتحويلهم عن دينهم الذي هو مصدر قوتهم ووحدتهم، ومنبع حضارتهم وتقدمهم في شتى المجالات الإنسانية.

كانت هذه خطط الصليبين، يوم كانت عقول المسلمين وأفكارهم ونفوسهم لا تسمح لعوامل التنصير أن تؤثر فيها، يوم كانت العواصم الإسلامية في العالم تعيش في خيرات مجدٍ خلَّفه المد الإسلامي في العلم والحضارة والتقدم، في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية المادية والنظرية، بالإضافة إلي ألوان المعارف الروحية الدينية، والكمالات الأخلاقية، والنُظم التشريعية الشاملة كل شؤون

السلوك الإنساني الفردية والاجتماعية، والكفيلة بضمان الحق والعدل والسعادة.

بينما كانت عواصم العالم الآخر غارقة في أوحال الجهالة والتخلف، والبعد عن القيم الحقيقية للأخلاق الفاضلة الكريمة، والكمالات الإنسانية، والمفاهيم الصحيحة للحياة، بدءًا ومعاشًا ومعادًا..

ثم أرسل مدبرو الحروب الصليبية عيونهم إلى البلاد الإسلامية، وبثوا جواسيسهم ليتحسسوا واقع المسلمين، وليكتشفوا مواطن القوة والضعف لديهم، وليتخذوا لهم من ضمن البلاد الإسلامية أعوانًا لهم يوالونهم.

وكانت هذه بعض عوامل نشأة الاستشراق، حيث خرجت بعد ما انتشر الإسلام وساد بين الغربيين وبعد عجز الصليبيون عن غزو البلاد الإسلامية بالعدة والعتاد. [١١]

[١١] أجنحة المكر الثلاثة ، عبدالرحمن حسن جنكة الميداني ، دار القلم ، ص ١٨-١٩

المبحث الثالث: دوافع الاستشراق

أولًا: الدافع الديني

يقول الدكتور (محمد الباهي): السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سببٌ ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين آثارًا مريرة مرهقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني التي قام بها (مارتن لوثر) فشعرت طوائف النصارى من (بروتستانت) و(كاثوليك) بحاجتهم الملحَّة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ومحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت
عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شمل أديانًا ولغاتٍ وثقافات غير الإسلام وغير العربية.
ويقول الدكتور الباهي أيضًا: ومن وجهة نظر أخرى رغب النصارى في نشر دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين، وأقنع المبشرين زعماء الاستعمار بأنَّ النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهَّل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته.

وحين قامت جمعيات التبشير ووضعت مخططها وهو تحويل المسلمين عن دينهم ونقلهم إلى النصرانية أو إلى الـ (لادينية)؛ كانت دوافع الاستشراق لدى المبشرين وأنصارهم هي دوافع التبشير نفسها، وتتلخص بسلخ المسلمين عن دينهم، ومحاولة إدخالهم إلى النصرانية.

ولقد بلغ من مساندة الاستعمار الإنجليزي لدعاة التبشير أنَّ المستشار الإنجليزي (دنلوب) أمر وزير الأوقاف المصري بإلغاء المستشفى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى (هرمن) التبشيري؛ لأنه في -رأيه- يصرف كثيرًا من فقراء المسلمين عنهم فيحرمون من التبشير بالنصرانية!..

كما أمر اللورد بتعطيل مجلة (المنار) لأنها ترد على المبشرين، وقد طلب المختصون من الشيخ (رشيد رضا) أن يتوقف عن الردِّ على المبشرين فأجاب رحمه الله:

"إني لن أدعَ الردَّ على المبشرين ما داموا يطعنون في الإسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم؛ لأنَّ الردَّ عليهم وتفنيد شبهاتهم فرضٌ من فروض الكفاية، حيث لا أرى في البلاد مجلةً ولا جريدة تقوم بها، فإن تركتها كانت إثمًا لجميع القادرين عليها)

ثانيًا: الدافع الاستعماري

لقد كان من أهداف الحروب الصليبية الاستيلاء على تلك البلاد المليئة بالخيرات والكنوز، ولقد هُزموا هزيمةً منكرة على يد صلاح الدين

الأيوبي وجيوشه، ومع ذلك فلم يخامرهم اليأس وظلوا يعدُّون العدة للاستيلاء على تلك البلاد.

ويقول المؤرخ (جرانفيل) الذي رافق الملك (لويس التاسع):

"إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصةً هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التي أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى (عكا) مقلعًا إليها من دمياط.

وانتهى تفكير الملك لويس التاسع إلى أنَّ النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين؛ فالحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية، وأن قوى الصليبين في الشرق أخذت في الانهيار ومات في قلب الصليبي ذلك الحافز الروحي وتبدل بحوافز مادية لا تتصل بالروح وإنما تتصل بالغنائم والأسلاب".

ويقول المؤرخ (رينيه جروسيه):

"وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته وكان من بينها: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملاتٍ صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع الأسلحة التي تستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين في هذه المعركة السليمة لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء

عليه معنويًا، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودًا للغرب".

ثالثًا: الدافع الاقتصادي

يقول الأستاذ (عبد الرحمن المبدائي): "من الدوافع التي حرضت كثيرًا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوًا اقتصاديًا، والهدف، الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية والثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدر المصانع الغربية".

ولقد خدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمةً عظيمة، وساعد على إحياء النهضة الصناعية في أوروبا، وذهب بعض الدارسين إلى أن الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق انشغال بعض المستشرقين بإبراز بعض الجوانب والاسترزاق من ورائها فترجموا (ألف ليلة وليلة) وحللوها وبحثوا فيها، وكذا (رباعيات الخيام) ورسائل (إخوان الصفا) وغير ذلك.

رابعًا: الدافع السياسي

رأى الغرب بعد انحسار جيوشه وإجلائها عن أراضي الشرق، أن يكون له وجودٌ سياسي يربط في سفاراته وقنصلياته من لهم خبرة عالية من الدراسات الاستشراقية ليقوم هؤلاء بمهماتٍ سياسيةٍ متعددة في بلاد المسلمين، لتجنيد بعض رجال الفكر والسياسة والصحافة لمصالحهم،

والتشكيك في جدوى الدين الإسلامي وإشاعة الفرقة وبث الفتن بين أبناء البلد الواحد، حتى وقتنا الراهن لا زالت بعض الحكومات تستعين بالمستشرقين في رسم سياستها.

ودخلت في هذا المضمار اليابان والصين وكوريا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى، وزاد اهتمام هذه البلاد بالعالم الإسلامي بعد تحولها إلى دولٍ صناعية تضارع -بل تفوق- الدول الغربية؛ وهؤلاء الوافدون الجدد قد لا يحملون مسمى (المستشرقون) بالضرورة... منهم خبراء بالمنطقة أو باحثون أوعلماء متخصصون، وهذا يأتي نتيجةً لمحاولات الانسلاخ من مصطلح (الاستشراق) نظرًا لما وقر في نفوس المسلمين من مفهوم هذا اللفظ والمهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل، يقوم بها المستشرقون الجُدد وإن اختلفت الوسائل وحورت المسميات.

خامسًا: الدافع العملي

يقول الأستاذ (حبنكة الميداني): "وهناك مجموعةٌ من المستشرقين اندفعت إلى العالم الإسلامي نتيجةً للانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية التي بُنيت على التسامح مع الآخرين؛ الأمر الذي لم يتحقق في إطار الديانتين السابقتين (اليهودية والنصرانية)، هذا الانبهار حدا بالبعض إلى الاتجاه نحو الشرق والتعمق في علوم الإسلام، وانتهى المقام بالكثير من هؤلاء إلى أن يخرجوا من ربقة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين".

وإن أخفى بعضهم إيمانه نظرًا لعوامل اجتماعيةٍ وسياسية، ومن هؤلاء (توماس آرنولد) في كتابة العظيم (الدعوة إلى الإسلام)، فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، هذا الكتاب الذي يعتبر أدقُّ وأوثق المراجع في تاريخ التسامح في الإسلام، وأيضًا المستشرق الفرنسي (رينيه)، الذي عاش في الجزائر فأُعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمي باسم (ناصر الدين رينيه)، وألَّف مع عالم جزائري كتابًا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وله كتابٌ آخر باسم (أشعة خاصة بنور الإسلام)، يبين فيه تحامل قومه علي الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونُقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها. [١٢]

---

[١٢] الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، عبدالرحمن عميرة ، دار الجميل ص ٩٤ -٩٩

المبحث الرابع: (تاريخ نشأة الاستشراق)

الاستشراق

لا شك أنَّ تاريخ الدراسات الاستشراقية ـ خاصةً تلك المتعلقة بالشرق الإسلامي وحضارته- قديم، غير أنَّ آراء العلماء والباحثين تتباين بشأن تحديد البدايات التاريخية لتلك الدراسات، وتتجه أكثر الآراء إلى تحديد فترةٍ زمنية، وليس إلى تحديد سنةٍ بعينها لبداية الاستشراق.

يقول السباعي: "لا يُعرف بالضبط من هو أول غربيٍّ عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقتٍ كان ذلك، ولكن المؤكد أنَّ بعض الرهبان قصدوا

الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصةٍ في الفلسفة والطب والرياضيات". [١٣]

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتُخب (بابا) لكنيسة روما عام ٩٩٩م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس

---

[١٣] (الاستشراق والمستشرقين – ما لهم وما عليهم -١٧)

وعودته إلى بلاده، و(بطرس المحترم) ١٠٩٢ - ١١٥٦، و(جيرار دي كريمون) ١١١٤ - ١١٨٧.[١٤]

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أُسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادو) العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية - وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذٍ- واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسات قرابة ستة قرون" [١٥]

وهناك من الباحثين من يرى أن بداية الاستشراق الأوربي كانت في القرن الثالث عشر الميلادي؛ حيث صدر قرار مجمع (فيينا) الكنسي عام ١٣١٢م بإنشاء عددٍ من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

ومن الباحثين من يذهب إلى القول بأنه بدأ في القرن العاشر الميلادي.

بينما يذهب البعض إلى أنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي؛ حيث تمت فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣م بتوجيه الأب (فيزابل)، وفي هذا القرن أيضًا أُلف أول قاموسٍ لاتيني عربي.

---

[١٤] المصدر السابق ١٨

[١٥] المصدر السابق ١٨

ويرى البعض أنه بدأ في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، وقد جعل (نجيب العقيقي) مؤلفه عن الاستشراق والمستشرقين - والذي يقع في ثلاثة أجزاء- سجلًا لحركة الاستشراق على مدى ألف عام، بدءًا من القرن العاشر الميلادي؛ حيث أخذ يرصد طلائع المستشرقين منذ ذلك التاريخ، فذكر في مقدمتهم (جربر دي أورالياك)، الذي انتُخب حبرًا أعظم باسم (سلفستر الثاني ٩٩٩ – ١٠٠٣) فكان أول بابا فرنسي، ثم ثنى بـ (قسطنطين الإفريقي) المتوفى عام ١٠٨٧م، وبعده (أوجودي سانتالا)، وغيرهم؛ حتى الأسقف (جويستنياني) المولود عام ١٤٧٠م، و(ليون الإفريقي) ١٤٩٤ - ١٥٥٢.

ويذهب أحد الباحثين إلى أن بداية الاستشراق تعود إلى منتصف القرن الثامن الميلادي بعد فتح الأندلس عام ٧١١م، فيقول: "وهناك أدلةٌ قاطعة على أنَّ الاستشراق قد نشأ حقًا في منتصف القرن الثامن الميلادي في الأندلس..." إلى آخر كلامه.

وإذا كانت الآراء حول نشأة الاستشراق وبداية مسيرته لم تكن متفقة فيما بينها -على نحو ما أشرنا- فإنه يمكننا أن نقرر مطمئنين أن ظهور الاستشراق لم يتأخر عن القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، حيث كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبان فتحهم لها مصدر ولادة الاستشراق، وباعث انطلاقته.[١٦]

---

[١٦] مجلد الألوكة الثقافية مقالات بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٧

المبحث الخامس: (وسائل المستشرقين)

هنا أتذكر مقولة دكتور (نبيل خليفة) -وهو مسيحي الديانة- في كتابه (استهداف أهل السنة) حيثُ قال: "ملامح أهداف الغرب واضحة، لابد من إضعاف المد الإسلاموي بجناحيه السني والشيعي -وخصوصًا السني- لأنه الأكثر خطورة".

فقد وضعوا سبلًا وعوامل للنيل من الإسلام والمسلمين وخاصة النشء والأجيال القادمة عن طريق المستشرقين، وتتمثل هذه السبل في عدة صور منها:

١-نزع الثقة وزعزعة اليقين من قلوب المسلمين وخاصةً الأجيال القادمة.

٢-تشويه التاريخ الإسلامي ورموزه عن طريق الانتقاء والاجتزاء من أقوال الفقهاء الأولين وغيرهم.

٣-محاولة طمس الهُوية الإسلامية وتبديلها بهويةٍ غربية.

٤- تحميل النصوص الإسلامية - قرآن وسنة - ما لا تحتمل وخروجها عن سياقها.

٥- لصق الإرهاب حول العالم بالإسلام والمسلمين وهو منه براء.

٦-تشويه الرموز الدينية والعلماء المعاصرين ووصفهم بالجهل والرجعية ومحاولة إقصائهم من على الساحة الإعلامية.

٧- نزع دراسة العقيدة والدين من المدارس وتهميشه بعدم إضافته

للمجموع مما يدفع التلاميذ والطلاب للتخلي عنه، وتبديله بالمناهج الغربية.

٨-دخول الحفلات المختلطة في المدارس والجامعات والاهتمام بأعياد غير المسلمين داخل المدارس والجامعات؛ بل وأصبحت بعض المدارس تطلب

من الأطفال الذهاب إلى المدارس وقت الاحتفال بملابس خاصة بتلك الاحتفالات كـ (الكريسماس) والـ (هالوين) وغير ذلك من الأعياد.

٩-تصوير اللغات الأجنبية على أنها الحل الأول والأهم لإيجاد فرص عملٍ مما أدى إلى الاهتمام بتلك اللغات على حساب لغة القرآن اللغة العربية، حتى أصبح البعض يخجل إن لم يكلم زميلًا له بكلماتٍ أجنبية في وسط الكلام العامي العربي؛ ورغم أنَّ دراسة اللغات لا تخالف الدين في شيء بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أحد الصحابة (زيد بن ثابت) وهو من كتَّاب الوحى أن يتعلم لغة اليهود السريانية حتى يقرأ له الرسالة فتعلم هذه اللغة في خمسة عشر يومًا فقط، ولكن هذا لا يكون على حساب اللغة الأساسية التي شرفها الله عزَّ وجل بنزول القرآن بها.

١٠-السكوت عن علماء المسلمين الذين غيروا الدنيا في شتى المجالات كالطب والهندسة والفلك والجبر والكيمياء وغيرهم كأمثال أبناء (موسى بن شاكر) و(الإدريسي) و(جابر بن حيان) و(الرازي) و(الخوارزمي) و(الفارابي)، وغيرهم الآلاف مع محاولة تمجيد علماء الغرب وإعلاء تاريخهم.

١١ ـ تكريه الناس فى رقابة أبنائهم وتصوير ذلك على أن الرقابة تجعل الأبناء يفعلون كل شيء في الخفاء، وتحويل الرقابة المطلوبة على الأبناء إلى تركهم دون رقابةٍ مما أدى ذلك إلى إخراج أجيالٍ فقدت الحياء ونسوا أنَّ الله اسمه الرقيب، وأنه لا يخلو مكانٌ ما في زمننا هذا دون كاميرات مراقبة لأهمية الرقابة التي بدورها تحافظ على الإنسان.

١٢ـ محاولة تشتيت المسلمين وزرع النزاع بينهم والفُرقة.

١٣ـنشر الإباحية وقصص الحب والعشق الممنوع في الأفلام والمسلسلات وعلى وسائل التواصل الاجتماعي.

١٤ـ العولمة ومن خلالها يستطيع كل إنسان أن يحتك بثقافات الغير دون معرفة مصادر تلقي الغير.

١٥ـ كثرة التطبيقات على شاشات الجوالات، وكذا الألعاب فجعلوا الشباب سجينَ هذا العالم الافتراضي.

١٦ـ نشر العنصرية والتنمر والتفاخر بذلك.

١٧ـ زرع العدوان بين الرجل والمرأة من خلال أفكار كـ (النسوية) و(الذكورية).

وغير ذلك الكثير من العوامل التى بدورها تهدم شباب المسلمين وتضعف قواهم.

١٨ـ التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، غالب المستشرقين يشككون في أنَّ الله أوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه كتابًا من لدنه، ويتهمون رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبًا وبهتانًا أنه كان ينتابه صرعٌ أو تخيلات أو مرض نفسي.. إلى غير ذلك.

ومنهم من كان يزعم ما كان يردده مشركي مكة أنَّ النبى كان يستمد معلوماته من أناسٍ أقدم منه كـ (بحيرا الراهب)، وأن القرآن ماهو إلا خليطٌ مأخوذ من التوراة والإنجيل.. إلخ من الأكاذيب والافتراءات.

١٩ـ التشكيك فى صحة الأحاديث النبوية الذي اعتمده العلماء المسلمين المحققون، ويفترون على الأحاديث الصحيحة قائلين أنها طالها الدسُّ والكذب متغافلين تلك الجهود العظيمة التى بذلها علماء المسلمين فى تنقية الأحاديث وتنقيحها من كل دس.

٢٠ـالتشكيك فى قيمة الفقة الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع العظيم الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم على مر العصور.

٢١ ـ إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيمٍ وعقيدة ومُثلٍ عليا، وفي المقابل يقومون بنشر ثقافتهم هم لنظل تبعًا لهم . [١٧]

وغير ذلك من الوسائل الخبيثة التي من خلالها تضعف قوى الإسلام وشوكته.

نسأل الله اليقظة وإدراك وسائلهم والتصدي لها حتى نعود كما كنا.

---

[١٧] ورفعنا لك ذكرك، محمد سيد صالح، دار حروف منثورة ، ٣٣ـ٣٥

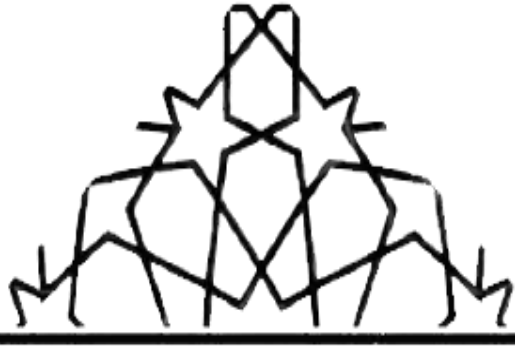

الفصل الثاني

افتراءات المستشرقين على كتاب الله

تمهيد

في حقيقة الأمر إنَّ الصراع بين الحق والباطل قديمٌ قدم الأزل، ومتجذرٌ في النفس البشرية، ولأنَّ الإسلام دين الحق والنبي صلى الله عليه وسلم بُعث بالحق فمن المتوقع أن نجد الباطل وأهله يحارب القرآن وأهله، خاصةً وأنَّ العالم كله يشهد ازديادًا في عدد المسلمين في كل بقاع الأرض، فقد تقارب عدد المسلمين نحو المليارين وهو عددٌ مهولٌ وضخم؛ ولذلك تجد أهل الباطل في كل مكانٍ يرتعدون خوفًا من تلك القوة التي لو اتحدت وتركت التنازع فيما بينها واتبعت نهج النبي صلى الله عليه وسلم والتفوا حولهما مما يجعلها ذات شأنٍ عظيم وسلطة أولى؛ فالجميع يعرف أن المسلمون لو تحركوا سيكون تحركهم وانطلاقهم نابعٌ من أرضٍ صلبة؛ أرض العقيدة والإيمان.. أرض النور التي تجعلهم ينطلقون للأمام بسرعة البرق، حتى وإن سار العالم كله في نفس الاتجاه، وبنفس القوة، فهم متأكدون أن المسلمين سيسبقون العالم أجمع لا محالة.

وأصور ذلك بمثالٍ بسيط ليقرب للقارئ صورةً ذهنية:
لو أنَّ هناك غرفتين غرفة مُظلمة وأخرى مضيئة، وكل غرفةٍ يسكن فيها شخص ما، فالشاهد أنَّ لو أن كلًّا من الشخصين تحركوا للعمل في نفس الوقت وبنفس الكفاءة سينطلق الذي يعيش في النور ويتقدم على من يعيش في الظلام لا محالة، لأنه يملك

مقومات التقدم الأولى وهي: النور والرؤية والوضوح، وهذا هو الحال الذى يعرفه الغرب وأهله من أهل التبشير والاستشراق عن المسلمين.

وما يؤكد هذا أقوال الكثير من المستشرقين ومنهم:
(جاردنر) الذي قال:
"إنَّ القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا".
وهذا (هانوتو) وزير خارجية فرنسا سابقًا قال: "لا يوجد مكانٌ على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دينٍ آخر".
كما صرح (سالازار) في مؤتمرٍ صحفي قائلًا: "إن الخطر الحقيقي على حضاراتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حيث يغيرون نظام العالم، فلما سأل أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم، أجابه: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا".
وغيرهم الكثير من الذين صرَّحوا بما يكمن في داخلهم من خوفٍ على زعزعة معتقداتهم وأراضيهم وسلطتهم.
وواجب علينا أن نتحد جميعًا لنتصدى لتلك الادعاءات والافتراءات لنرسِّخ اليقين ونصحح الأخطاء التي زرعوها بيننا.

المبحث الأول: معنى القرآن لغةً واصطلاحًا

معنى القرآن لغة:

(القرآن) هو أول أسماء الكتاب العزيز وأشهرها، وأصح الأقوال في شرح معناه اللغوي أنه مرادفٌ للقراءة، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(١٨)) [١٨] ثم نقل من هذا المعني المصدري وجعل اسمًا لكلام الله المنزَّل على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه.[١٩]

وقد قيل: إن اسم القرآن مشتق من (القرء) بمعنى الجمع؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة، والرأي الأول أصح.

وذهب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- إلى أنَّ لفظ القرآن ليس مشتقًا ولا مهموزًا، وأنه قد ارتجل وجُعل علمًا للكتاب المنزل، كما

---

[١٨] القرآن، القيامة، ١٧-١٨

[١٩] كتاب الواضح في علوم القرآن، مصطفي ديب البغا، دار الكلم الطيب،١٣

أنزل اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى عليهما السلام .[٢٠]

ومن أسماء القرآن: الفرقان، ويعني أنه الكلام الذي يفرق بين الحق والباطل.

قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)). (الفرقان).

ومن أسمائه المشهورة: الكتاب، والذكر، والتنزيل. وقال:

(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣))[٢١].

ويقف الدكتور (محمد عبد الله دراز) في كتابه القيم (النبأ العظيم) عند أشهر اسمين وهما (القرآن) و(الكتاب) ليستجلي الحكمة الربانية في ذلك، فيقول: "روعي في تسميته (قرآنًا) كونه متلوًّا بالألسنة، كما روعي في تسميته (كتابًا) كونه مدوَّنًا بالأقلام؛ فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه". [٢٢]

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارةٌ إلي أنَّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضعٍ واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، أن تضلَّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظٍ حتي يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلًا بعد جيل على هيئته التي وُضع عليها أول مرة،

---

[٢٠] المصدر السابق،١٣ / (المرجع السابق -١٣)

[٢١] القرآن، آل عمران، ٣

[٢٢] المرجع السابق ، ١٤

ولا ثقة لنا بكتابة كاتبٍ حتى يوافق ما هو عند الحفَّاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

تعريف القرآن الكريم اصطلاحًا:

إنَّ القرآن العظيم هو كتاب الله تعالى المنزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، وقد نُقل إلينا متواترًا قطعي الثبوت مكتوبًا في المصاحف، صحيحًا غير محرَّف، ولا مبدل، من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس.

ويشتمل القرآن الكريم على ستين حزبًا، وثلاثين جزءًا.

وعدد آياته: ستُّ آلافٍ ومائتان وستٌ وثلاثون آية.

وعدد كلماته: سبعٌ وسبعون ألفًا وأربعمائةٍ وتسعٌ وثلاثون كلمة.

وعدد أحرفه: ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ألفًا وستمائة وواحد وسبعون حرفًا.

والسور هي: ستٌ وثمانون مكية، وثمانٍ وعشرون مدنية.

وقد اشتمل القرآن الكريم على أحكامٍ تحيط بجميع حياة المسلم وهي ثلاثة أنواع من الأحكام:

١-أحكامٌ عقائدية.
٢-أحكام أخلاقية.
٣- أحكام علمية.

والأحكام العلمية تشتمل على: أحكام العبادات والمعاملات.
فالأول ينظم علاقة المسلم بربه.
والثاني ينظم علاقة المسلم بالمجتمع؛ بل علاقة المسلم بالدولة؛ بل علاقة الدولة بالدول الأخرى.
وتشتمل آيات أحكام المعاملات على: آيات أحكام الأحوال الشخصية،
وآياتها نحو سبعين آية، وآيات الأحكام المدنية وآياتها سبعون آية.
وآيات الأحكام الجنائية وآياتها ثلاثون آية. وآيات المرافعات في القوانين وآياتها نحو عشر آيات.
والأحكام الدستورية، وكلمة (الدستورية) هي ما يؤسَّس عليها الدول وهي عشر آيات.
والأحكام الدولية، وكلمة (الدولية) أو مصطلح (الدولية) هو ما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية بين دولة الإسلام والدول الأخرى، وهي خمسٌ وعشرون آية.
والأحكام المالية والاقتصادية وآياتها نحو عشر آيات.
فالقرآن الكريم هو منهج حياةٍ وشريعة أحاطت كل ما يمس المسلم.[٢٣]

[٢٣] نقد العقل الإسلامي، دكتورة وفاء العمري

المبحث الثاني: افتراءات المستشرقين على كتاب الله

يثير الناقدون للإسلام من المستشرقين اعتراضاتٍ كثيرة تتعلق بصحة القرآن الكريم، وكثيرٌ مما أثاروا متعلق بالأمور التفصيلية الخارجة عن أصل الإعجاز.

ولأنَّ القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول عند المسلمين وحجر الأساس الذي يُبنى عليه هيكل الدين والذي يسند إليه جميع التشريعات العبادية، فأي تشريع أو خبر عن الأمم السابقة، أو خبرٍ عن حدث في المستقبل، يُرجع فيه أولًا لكتاب الله ومن ثمَّ السنة النبوية الصحيحة وهي المصدر الثاني للتشريع.

ومن هنا كان منهج المستشرقين في الافتراء على كتاب الله عز وجل، لتكون البداية بضرب حجر الزاوية، والأساس الذي إذا اهتزَّ في نفوس المسلمين، سقط كل شيء بعده.

ويقول الدكتور (عبد المنعم فؤاد): "إنَّ المستشرقين في منهجهم قد استخدموا في دراسة الإسلام وعقيدته مناهج علماء الاجتماع التي تربط نشأة المعتقدات الوثنية بالبيئات والمجتمعات، وممن كتب في هذا المنهج من علماء الاجتماع (جون أمبتي) فقد كتب أنَّ المعتقدات القبلية الوطنية فى إفريقيا قد نشأت بسبب ارتباط السكان بعوامل بيئيةٍ واجتماعية، ولهذا لا يُعرف أول من تبناها، ولكنها كما يذكر قد تطورت تدريجيًا عبر القرون بسبب وجود الصحاري والجبال والأنهار، وغير ذلك من القوى الكونية والحوادث التاريخية كالحروب والمجاعات".[٢٤]

"وعلى الجملة، فهذه المعتقدات الوثنية القبلية هي وليدة الظروف الخارجية التي يفرزها واقع البيئة على الإنسان، ومن ثمَّ يحاول أن يكيف حياته". [٢٥]

ثم جاء (مونتجمرى واط) فلم يخرج عن هذا المنهج في ربط المعتقدات بالمجتمع، فقال:
"إنَّ ذكر الحوادث التاريخية ليس بعيدًا عن الاهتمام العقدي، فإنَّ مؤيدي علم الاجتماع المعرفى يرون أنَّ كل الأفكار العقائدية والفلسفية ذات مرجعٍ سياسي أو اجتماعي".

---

[٢٤] من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ، الدكتور عبد المنعم فؤاد ، ٥٣-٥٤

[٢٥] المصدر السابق ٥٤

ولما جاء (سكوبي) صفق لهذا المنهج وقرر أنه قد تم تطبيقه لا على الديانات الوثنية فقط بل على النصرانية.
إنَّ هناك بعض الدراسات في المعتقدات النصرانية والسلوك الديني أثبتت أنَّ بعض الأوضاع الاجتماعية بإمكانها أن تؤثر في الدين.[٢٦]

ثم توجهوا بعد ذلك إلى تطبيق هذا المنهج في الإسلام وعقيدته فماذا قالوا؟
يقول (مونتجمري واط):
"إنَّ الإسلام بعقيدته عبارة عن إبداع إنساني ونتاج بيئةٍ من حيث الزمان والمكان، وهو بهذا يحاول تطبيق المنهج السابق".
ثم يعلن (واط) بكل سذاجةٍ أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم تأثر بالتقاليد العربية الشركية في الجاهلية! واستدل على ذلك بقصة (الغرانيق العلا) التي ذكرها (الطبري) دون طعنٍ فيها.
ثم ينتقل الأمر بعد ذلك على أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم اقتبس العقيدة من اليهودية والنصرانية.[٢٧]
وكان (واط) من الذين افتروا على الإسلام زاعمين أنَّ القرآن مقتبسٌ من أديان أخرى، أو أن الإسلام تطور عبر عدة مراحل وأخذ من عدة روافد أجنبية كاليهودية والزرادشتية والنصرانية وغير ذلك.

---

[٢٦] (المصدر السابق ٥٤).
[٢٧] المصدر السابق ٥٥

ومن ضمن افتراءاتهم حول القرآن يدَّعون أن القرآن ليس كلامًا إلهيًا إنما هو كلامٌ بشري من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.
وتارة يدعون أنَّ القرآن فيه أخطاءٌ لغوية ونحوية، وتارة القرآن يتعارض مع العلم، وتارة القرآن مشكوكٌ في أمره لأن مصادره قد حُرقت بسبب حرق عثمان رضي الله عنه للمصاحف، وتارة القرآن فيه حروفٌ زائدة وغير مفهومة وليس لها معنى، وتارة القرآن ميَّز الرجال على النساء، وجعل القوامة للرجل دون المرأة وأمر بضربها.. إلى آخر تلك الإدعاءات؛ ومما لا شك فيه أنَّ كل هذه الافتراءات هي نتاج الحقد والغيرة من هذا الدين الحق بعدما اتبعه مئات الملايين، هذا الدين الذي شمل كل جوانب الحياة ووصل بها إلى المنتهى.

المبحث الثالث: إثبات حجية القرآن الكريم وأنه من عند الله وليس من عند بشر

أولًا:

يتصف القرآن الكريم بالكمال التشريعي المطلق؛ فهو الذي بلغ الغاية في الكمال، والنهاية في الصلاح، والذروة في المحاسن والإتقان، بحيث إنه يبعد في العقل أن يكون صادرًا من رجلٍ واحد لم يتعلم القراءة والكتابة، ولم يعرف بكثرة الأسفار والتجارة وإقامة العلاقات مع الثقافات الأخرى المختلفة، فمَن تأمل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم سيجده كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وكان يعيش في الصحراء الخالية من كل صنوف النهضة؛ فلم يخرج من مصر حيث الحضارة الفرعونية، ولم يخرج من الشام حيث امتدادٍ لحضارات الأنبياء، كما أنه لم يخرج من بلاد فارس أو الروم، أو الهند التي كانت تشهد أنواعًا من النهضة؛ فضلًا عن أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم عاش ألوانًا وصنوفًا من الابتلاءات التي لو عاش أحدنا اليوم جزءًا منها لربما يصاب بالجنون أو الوساوس أو لربما أقبل على الانتحار، ومع ذلك نجد الدين الذى جاء به لا يتوافق مع الحالة التي كان عليها؛ بل يتصف بالكمال التشريعي؛ فقد حوى

الإسلام من الكمال والمحاسن والصلاح والاستقامة والرحمة والعدل والانضباط ألوانًا وأصنافًا، مما يدل على أنه ليس من وضع إنسانٍ واحد، أو عدد من الناس، وإنما هو من عند الله تعالى المتصف بالعلم الشامل والحكمة البالغة والرحمة الواسعة والعدل العام.

ثانيًا:

كمال دين الإسلام ومحاسنه الشاملة عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دلَّ عليه الإسلام من العلوم والأحكام، وفيما اشتمل عليه من جميع المجالات، كالتصور عن الله والعلاقة بينه وبين الخلق، والعلاقة بين الإنسان والكون، والعلاقة بين الإنسان وبني جنسه، ومجال العبادات والتشريعات التعبدية، ومجال البيع والشراء، والأنكحة وتوابعها، والجنايات والعقوبات والديات والشهادات والأخلاق والقِيم وغيرها من المجالات الحياتية المختلفة.

ثالثًا:

فضلًا عن أخبار الأمم السابقة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي كانت تبعد عنه بمئات السنين وأخرى بالآلاف من السنين؛ فضلًا عن أنها كانت في مصادر وهذه المصادر حبيسة الأديرة والمعابد والكنائس، وكانت في أماكن شتى وبلغاتٍ متعددة، وكل هذا لا يقوى عليه إنسانٌ بمفرده أو حتى مجموعةٌ من البشر، فكيف في هذا الزمن أن يكون قد تجوَّل بين العالم واخترق الأديرة

والمعابد دون أن يمسك به أحدٌ؟! فضلًا عن أنَّ هذا يتطلب منه أن يكون عالمًا بلغاتٍ متعددة ليترجم ما في الكتب من لغاتها الأم إلى اللغة العربية وينتقي منهم ما يريد، وفي هذا دليلٌ لا يدحض على أنَّ القرآن الكريم من عند الله مطلق العلم والقدرة.

رابعًا:

والأخبار المستقبلية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة ومتنوعةٌ ومتعددة، وحدث منها البعض في حياته بعد إخباره بها، وحدث منها البعض بعد وفاته صلى الله عليه وسلم؛ بل من هذه الأخبار ما كانت تأتي بشكلٍ معقد ومركب ومتضافر؛ كإخباره -عن الله عزَّ وجل- بأنَّ الروم ستغلب الفرس، ولم يكتفِ بذلك بل حدد المكان في أدنى الأرض وحدد الزمان في بضع سنين قال تعالى:

﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِاللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٥)﴾[٢٨]

في هذه الآية المباركة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الروم ستنتصر على الفرس في أدنى الأرض وفي بضع سنين، ولما سمع هذا الكلام أبو بكر رضي الله عنه ذهب ليخبر به مشركي مكة لأنهم كانوا يميلون للفرس لاشتراكهم معهم في الوثنية؛ أما المسلمون فكانوا يميلون للروم لأنهم كانوا أهل كتابٍ وكانوا أقرب للحق من

[٢٨] القرآن ، الروم ، ١-٥

الفرس، وقد تراهن أبو بكر مع مشركي مكة على أنَّ الروم ستنتصر على الفرس بعد خمس سنوات، ولما فاتت المدة التي تراهنوا عليها ولم تنتصر الروم على الفرس ولم يحدث بينهم أية حروب ذهب مشركو مكة لأبي بكر ليقولوا له أنَّ ما جئت به لم يحدث، فذهب أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما حدث فقال له النبي: "زِدْ فِي الوَقتِ مَعَهُم وَزِدْ فِي الرَّهَانِ". فالآية قالت (بضع سنين) ولم يقل الله فيها خمسًا، لكن أبو بكر اختار الخمسة، فزاد أبو بكر المدة وزاد في الرهان، وهنا علا التحدي، ولم تمر بعد هذا الرهان سنتان أو ثلاثة إلا وقامت الحرب بين كلٍّ من الروم والفرس وانتصرت الروم على الفرس، وكانت الواقعة بينهما عند وادي البحر الميت بالقرب من الأردن، والعلم الحديث أثبت أنها أدنى وأخفض مكانٍ على سطح الأرض، وهنا يأتي السؤال: ما الذى يدعو النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعي مثل هذا لو لم يكن نبيًا يأتيه الوحي، وهو يعلم أنه من الممكن ألَّا يقع ما أخبر به وينكشف أمره؟!

ولو قال قائلٌ إنَّ هناك بعض المتنبئين الذين عندهم القدرة على التنبؤ بالأشياء، وربما حاله كحالهم؛ هنا نعترض قوله لأن من يدعِ النبوة يختلف تمامًا عن مدَّعى التنبؤ أو الدجال؛ لأنَّ المتنبئ لو لم يحدث ما تنبأ به لن ينشغل الناس بأمره، أما مدعي النبوة فلابد أن يكون صادقًا في كل أخباره، ولو خالف خبرًا من أخباره الحقيقة لكذبت به الناس وتركوا دعوته، وفي هذا دليلٌ قويٌ لا يُدحض على صدق نبوة رسول الله وعلى أنه نبيٌ من عند الله يُوحى إليه، وأنَّ

القرآن الكريم كلام الله الحقيقي الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المبحث الرابع

وبعد أن عرضنا جزءًا من النظرة الحاكية لصحة القرآن وحجيته ننتقل الآن إلى النظرة الفاحصة الكاشفة، ولسنا بحاجةٍ إلى أن نحصي كل أوجه الصحة فإذن ذلك يحتاج بيانه إلى مجلداتٍ ضخام لكثرة الأدلة وتعدد نواحيها، ولكنَّا نكتفي بإيراد بعض الأدلة ونترك الباقي للاطلاع عليه من النظر في القرآن نفسه وفي مصادر العلماء المتخصصين المسلمين وغير المسلمين، الذين فسروا ما فيه تفسيرًا صحيحًا.

ما يجب أن يكون في أي كتاب ديني من صفاتٍ ليكون حجة:

لأجل أن يكون الكتاب حجةً يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه، ومجموع أوامره ونواهيه، ومصدر الاعتقاد وأساس الملة، يجب أن يتوافر في هذا الكتاب أمورٌ هي الميزان الذي يوزن به الحق:

أولها: أن يكون هذا الكتاب الذي يُدعي أنه من عند الله ينزه الله من كل عيبٍ ونقص.

ثانيها: أن يكون الرسول الذى نُسب إليه قد عُلم صدقه بلا ريب ولا شك، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة، أى بأمرٍ خارقٍ للعادة قد تحدى به المنكرين والمكذبين، وأن يُشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز ويتوارثه الناس خلفًا عن سلف، ويتواتر بينهم تواترًا لا يكون للإنسان مجالٌ لتكذيبه.

ثالثها: ألَّا يكون ذلك الكتاب متناقضًا مضطربًا يهدم بعضه بعضًا، فلا تتعارض تعليماته ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزءٍ منه متممًا للآخر ومكملًا له؛ لأنَّ ما يكون عن الله لا يختلف، ولا يفترق، ولا يتناقض؛ بل إنَّ العقلاء في أقوالهم وفي كتبهم يتحرون ألا يتناقض قولهم ولا يختلف تفكيرهم.

رابعها: أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحي إليه به، ويدعم ذلك الإدعاء بالبينات الثابتة وهي المعجزات التي بُعث بها الرسول، ودعا إلى كتابه على أساسها، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر أو يثبت بالكتاب نفسه.

خامسها: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نُسب إليه ثابتةً بالطريق القطعي؛ بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلًا بعد جيل من غير أية مظنة للانتحال.

وأساس ذلك التواتر أن يرويه جمعٌ يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، حتى تصل إلى الرسول بحيث يسمع كل فردٍ من الجمع الراوي عن الجمع الذي سبقه، والذي

سبقه كذلك، حتى يصل إلى الرسول الذى أسند إليه الكتاب ونُسب إليه ونزل به الوحي عليه.[٢٩]

سادسها : ألَّا يتعارض القرآن الكريم مع العلم، فالذي أنزل القرآن هو الله سبحانه وتعالى والذى خلق الكون وقوانينه هو الله فيستحيل أن يتعارض كلام الله مع العلم والكون وقوانينه وهما من صنع الله.

والآن موعد تطبيق هذه الشروط على القرآن الكريم:

الشرط الأول: هل القرآن ينزِّه الله من كل عيبٍ ونقص؟
أولا:
بدايةً، الإسلام هو الدين الوحيد الذي حوله كُتل من الأدلة لتثبت صحته، وأحقُّ الحقائق في الدنيا لربما لا يتوفَّر حولها ربع الأدلة التي حول الإسلام، ولكن دعني أقدم لك طرحًا بسيطًا ولا يحتاج لكثيرٍ من العناء لأثبت من خلاله أنَّ القرآن هو كلام الله المنزل ولا دين سواه.

ثانيًا:
الأديان التي في العالم تنقسم إلى أربعة أقسام (أديان بشرية، وأديان تدعي أنها سماوية، وأديان سماوية نُسخت، والإسلام).

---

[٢٩] من ثانيها حتى خامسها (محاضرات في النصرانية) ،٧١

القسم الأول: (الأديان البشرية): كـ (البوذية) والـ (كونفشويسة) والـ (علمانية) والـ (شيوعية).. إلخ. وهذه الأديان أصحابها اعترفوا أنها بشرية؛ وبالتالي أي دين ودستور وضعه البشر يستحيل أن يشمل كل جوانب الحياة، ولا يتناسب مع كل الأماكن والأزمان، لأنَّ الإنسان الذي وضع الدستور والدين يمرض ويسعد ويحزن ويمر بظروفٍ نفسية قد تطبع عليه، ويعيش في زمن واحد ويعيش فترةً من الزمن ثم يموت. والدين الذى وضعه البشر حتمًا سيكون تابعًا لنفسية من وضعه، وسيكون ناتجًا من خبراته المحدودة، وعمره القصير، ولن يتجاوز الزمن الذي عاش فيه لأنَّ الحياة تتغير، إذن النوع الأول يخرج من الدائرة.

القسم الثاني: (الأديان التي تزعم أنها سماوية):

كـ (الهندوسية)، والـ (زرادشتية).. إلخ.

هذه الأديان لو بحثت فيها ستجدها أديانًا وثنية يعبدون فيها الأصنام، وحتمًا هذه الأديان لا تليق أن تكون من عند الله، فكيف للإله أن ينزل دستورًا ودينًا لعباده يأمرهم فيه أن يتعبدوا لصنمٍ ما؟!

إذن النوع الثاني يخرج من الدائرة أيضًا. [٣٠]

---

[٣٠] انظر لماذا الإسلام وسط الزحام، محمد سيد صالح، دار حروف منثورة، ص ٣٦

القسم الثالث:(الأديان السماوية التي نُسخت): كـ (التوراة) و(الإنجيل) إلخ.

هذه الأديان مما لا شك فيه أنها شرائعُ كانت من عند الله أرسلها الله في زمنٍ ما ومكانٍ ما، تناسب البيئة والزمن والفكر الذي كان موجودًا وقت نزولها، وهي بمثابة تأهيل للإسلام؛ كالطفل الذي أراد أن يحصل على الدكتوراة فحتمًا لن يحصل على الدكتوراة وهو صغيرٌ بل سيمر بمراحل عدة كالابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعة، حتى ينتهي ثم يبدأ في دراسة الدكتوراة.

ثم نُسخت هذه الأديان بالإسلام، ولكن بقي عليها الكثير وحرفوها، وأصبح فيها من يدعي أنَّ لله ولد كالإنجيل، وهذا حتمًا لا يليق فالله أحد لا يحتاج لولد يعينه على الملك وإلا لما كان إلها، واليهود مثلًا ادعوا أنَّ يد الله مغلولة ووصفوا الله بأوصافٍ لا تليق به أبدًا، فأي مُنصف ينظر في تلك

الأديان سيجدها لا ترقى أن تكون دياناتٍ لله، ففيها من النواقص والمعايب التي لا تليق بالله الخالق حاشاه.. إذن هذا النوع أيضًا يخرج من الدائرة.

يتبقى معنا القسم الرابع: (الإسلام): هو الدين الوحيد الذي تجد فيه التوحيد الخالص والتبرئة من كل شركٍ والتنزيه التام لله، فتجد الركن الأول في الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله (أي لا معبود حق إلا الله)، وأنَّ محمدًا رسول الله وليس ابن الله، وفيه سورة الإخلاص التي تعادل ثلث القرآن رغم صغر آياتها لكنها تحوي على توحيدٍ خالص:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ(٤)).(الإخلاص)

وآيات التوحيد التي ينزه الله فيها نفسه ويخرج عباده من عبادة الأصنام والأوثان والشهوات والشرك لا تعدُّ ولا تُحصى.. وهنا يتضح عقلًا أنَّ الدين الوحيد الذى يليق بالله هو الإسلام؛ فهو الحق الذي لا دين سواه، دين مبرأ ومنزه من كلِّ شرك.. فكر قليلًا وتدبر.

الشرط الثاني: صدق من نُزلت عليه الرسالة وادعى أنه نبي يوحى إليه (محمد صلى الله عليه وسلم):

النبوة قائمة على الإخبار عن الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم بلغ في صفتي الصدق والأمانة مبلغًا عظيمًا من الكمال، فلم يعهد عليه طوال عمره أنه كذب كذبةً واحدة، أو أنه خان أمانةً واحدة، حتى كان يلقب في قومه بالصادق الأمين.

ومن أعظم الشواهد العظيمة الدالة على ذلك أنَّه صلى الله عليه وسلم حين قام في قومه يبلغهم رسالة الله إليهم، قال لهم بعد أن نادى في جميع بطون قريش: " أرأَيْتُم لو أخبَرْتُكم أنَّ خَيلًا بسَفْحِ هذا الجبلِ تُريدُ أنْ تُغِيرَ عليكم أصدَّقْتُموني) ؟ قالوا : نَعم قال : فإنّي ({نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبأ: ٤٦]) فقال أبو لَهَبٍ : تبًّا لك سائرَ اليومِ". [٣١]

فشهد له قومه بأنهم ماجربوا عليه كذبةً في حياته، وفي ذلك أبلغ الدلالة على كماله في هذه الصفة، ولم تستطع قريش أن تتهم النبي

---

[٣١] أخرجه البخاري ، رقم (٤٧٧٠)

بالكذب حتى أنَّ عمه أبا لهب حين اعترض عليه لم يتهمه بالكذب، وإنما لجأ إلى السب، والاستخفاف.

وما زالت قريش تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدق مع عدم تسليمهم لما جاء به، فقد قال عتبة بن ربيعة لقومه بعد زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: "قَد عَلِمْتَ أنَّ مُحمَّدًا إذا قالَ شيئًا لم يَكذبْ".[٣٢]

وحين سأل هرقل أبا سفيان: هل كانوا يتهمون النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالكذب في حياته، أجابه: بأن لا، وأقرَّ بأنَّ قريشًا لم تعهد عليه كذبًا في كلِّ حياته[٣٣]

ومما يزيد من ثبوت هذه الحقيقة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مكث أربعين سنةً من عمره وهو في أعلى درجات الكمال الإنساني، وفي أرفع طبقات العلو في الأخلاق، والسلوك، والصدق، والأمانة، فمن المستبعد في العقل أن يخرم هذا الكمال بعد أن بلغ سن الرشد، ومرحلة سعة الأفق، ورجاحة العقل، ويرتكب فعلًا من أعظم الفظائع وأقبح الرذائل وهو الكذب على الله تعالى ويدعى أنه رسول من عنده.

---

[٣٢] صحيح السيرة النبوية الألباني (١٦٢)

[٣٣] .. **أخرجه البخاري رقم (٢٩٤٠) ومسلم رقم (١٧٧٣).**

إنَّ حدوث مثل هذه الانتكاسة الأخلاقية بعيدٌ كل البعد في مقاييس الحياة الإنسانية، وإذا استحضرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع مع ذلك أنواعًا من الكمالات وصنوفًا من النعوت الرفيعة كصلة الرحم وإكرام الضيف ومعاونة المحتاج وإعطاء الفقراء ومواساة المصابين والشجاعة والزهد والورع وشرف النسب والمكانة الرفيعة في قومه؛ كان احتمال وقوع الكذب منه على الله غاية البعد عما يُعرف من عادات الناس.

إنسان يلتزم بالصدق والأمانة أربعين سنةً، لا يكذب فيها على أحدٍ من الناس، لا في بيعٍ ولا شراء ولا غيرهما، ولا يخون في عهد ولا وعد وهو سليم في عقله وشريف في نسبه وعليٌّ في قومه وشجاع في مواقفه، وصاحب بذلٍ وعطاء وزهد وورع ومواساة، كيف يتصور مع كل هذه

الكمالات أن يتخلى عما هو فيه ويرتكب كذبةً من أعظم الكذبات في الوجود، ولا يفعلها إلا أقبح الناس وأحقر البشر، فيدعي أنه رسول من عند الله؟!.

إنَّ حدوث مثل هذا الصنيع أمرٌ يصعب على العقل السليم تصوره والتسليم به، ويحتاج إثباته إلى براهين قوية جدًا.

ومما يؤكد هذه المعاني حين التقى (الأخنس بن شريق) بأبي جهل يوم بدر، فقال له: "أترى أنَّ محمدًا يكذب؟ فقال أبو جهل: كيفَ يكذبُ على اللهِ وقد كنَّا نسميهِ الأمين لأنَّه ما كذبَ قَط؟! ولكن إذا

اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأيُّ شيءٍ بقي لنا؟".[٣٤]

وقام (النضر بن الحارث) يومًا في قريش خطيبًا فقال لهم: "لقد كان محمدٌ فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنونٍ لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه".[٣٥]

فهكذا كان حال أعدائه صلى الله عليه وسلم تجاهه وشهدوا له بالصدق، فكيف يأتي من لم يبلغوا عداوة مشركي مكة للنبي في هذا الزمن ويتهمونه بالكذب؟!.

وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشر سنة وهو يقارع قريشًا ويواجههم بدعوته ويوقعهم في الإحراج بالتحدي بالقرآن، ومع ذلك كله لم يتقدم أحدٌ منهم ويتهمه بالكذب ولو في حادثة واحدة، ولو وجد كفار قريش على النبي صلى الله عليه وسلم كذبةً واحدة لأعلنوها في الآفاق، ولجعلوها دليلًا على تكذيبهم له.

---

[٣٤] االروض الأنف ، السهيلي ، ٥/١٦١

[٣٥] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، ٢/٢٠١

وقد تواتر هذا الأمر حتى أقرَّ بصدق النبي صلى الله عليه وسلم عددٌ من علماء النصارى وباحثوهم؛ فإنهم مع مخالفتهم لدين الإسلام لم يجرأوا على

وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب وأقروا بأنه كان صادقًا في دعوته، وأنه بلغ الكمال في أخلاقه وسلوكه وشهاداتهم في هذه القضية كثيرةٌ ومتعددة، وعلى ضوء هذا يقول (هنري دري فاستري):

"إنَّ أشد ما تتطلع إليه بالنظر في الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولًا في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية، ووجدت في هذا البحث دليلًا جديدًا على صدقه وأمانته المتفق عليهما بين جميع مؤرخي الديانات، وأكبر المتشيعين للدين المسيحي".[٣٦]

ويقول: (كال لا يل) وهو كاتب إنجليزى معروف : "لوحظ على محمد صلى الله عليه وسلم منذ صباه أنه كان شابًا مفكرًا، وقد سماه رفقاؤه الأمين رجل الصدق والأمانة في أفعاله، وأقواله وأفكاره" [٣٧]

وصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالات ذلك لا تحصى، وهنا يكون انطبق الشرط الثاني على صحة القرآن الكريم وحجيته.

---

[٣٦] قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، الرياض، ص ١٠٨

[٣٧] المصدر السابق ،ص ١٢٤

الشرط الثالث: ألا يكون القرآن متناقضًا مضطربًا يهدم بعضه بعضًا:

أولًا: أبدأ بهذا التحدي من القرآن نفسه، الذي يثبت أنَّ القرآن كلام الله الحق وليس فيه أي تعارض، قال تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(٨٢)) [٣٨].(النساء)

فلو كان القرآن من عند محمدٍ صلى الله عليه وسلم فما الذي يدعوه أن يبرز هذا التحدي وهو يعلم أنَّ هناك الكثير من الذين سيسعون للبحث عن تناقضاتٍ لتكون دليلًا على دعواهم؟!.

ولكن هذا التحدى يحتاج لتدبر وأن يقدم المتدبر أدوات التدبر والتجرد، فمن قدم أدوات البحث العلمي الصادق المتجرد سيجد القرآن حق ليس فيه باطل، وإنّ قول الناس يختلف، وإن القرآن لا يكذّب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، وما جهل الناس من أمرٍ، فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم، فالإنسان عدو ما جهل، فعادة الإنسان إن لم يكن على علمٍ بشيءٍ ما نجده يقلل من قيمته ويصفه بما ليس فيه.

ثانيًا: يصرُّ الذين يقرأون القرآنَ العظيم دون تدبُّرٍ لآياتِه الكريمة على أنَّ فيه تناقضًا يلزمُ عنه وجوبُ أن يكونَ بَشريَ الصنعة! ولو أنَّ هؤلاء القائلين ببشريةِ صَنعةِ القرآنِ العظيم ترَوَّوا قليلًا وتمهَّلوا لأدركوا أنَّ ما ظنوا أنه بشريٌّ إنما هو في حقيقةِ الأمر الدليلُ والبرهان على أنهم ما قرأوا القرآنَ العظيمَ بتدبُّر.

---

[٣٨] القرآن، النساء، ص ٨٢

لنأخذ مثالًا على هذا الإخفاق في تدبر القرآن العظيم من جانب القائلين ببشرية صنعتِه؛ فهؤلاء يقولون إنَّ هناك تناقضًا بين الآيتين الكريمتين: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[٣٩].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)[٤٠].

فلو أنَّ هؤلاء تدبَّروا هاتين الآيتين الكريمتين لتبيَّن لهم أنَّ اللهَ تعالى إذ أمرنا بأن نتقِّيَه حقَّ تقاتِه، فإنه ما أمرنا إلا بما هو بمستطاعِنا، فتقوى اللهِ حقَّ تُقاتِه هي مما مكَّننا اللهُ من القيامِ به فجعلَه بوسعِنا وليس بمستعصٍ علينا، فأين التناقضُ إذن ونحن مأمورون بأن نتقيَ اللهَ حقَّ تُقاته، وهي تقوى خُلِقنا قادرين على القيام بها؟!.

ثالثًا: يدَّعي بعض المتوهمين أنَّ القرآن يناقض بعضه بعضًا؛ حيث مدح العرب في قوله عزَّ وجل: (هُو الذي بَعثَ في الأُمِّيينَ رَسُولًا مِنهُم)[٤١]. وذمهم في قوله عزَّ وجل: (الأَعرَابُ أَشَدُّ كُفرًا ونِفَاقًا)[٤٢].

فكيف يكون هذا؟!

والجواب:

الأصل في بلاغة الكلام ألا يناقض بعضه بعضًا، بل يجب أن يكون في إطارٍ فكري واحد؛ ليحقق معنىً متسقًا، وهذا ما نلحظه بوضوحٍ

---

[٣٩] القرآن، التغابن، ص ١٦

[٤٠] القرآن، آل عمران، ص ١٠٢

[٤١] االقرآن، الجمعة، ص ٢

[٤٢] القرآن، التوبة، ٩٧

تام في السياق القرآني منسق الأداء معجز النظم، أما ما توهمه بعضهم من اضطراب موقف القرآن من العرب مدحًا وذما فوهم باطلٌ من وجوه:

١) اللغة تفرق بين كلمتي: (الأعراب) و(العرب)؛ فكلمة (العرب) تختلف في مدلولها عن كلمة (الأعراب)، فكل الأعراب عرب، ولا عكس، وقد بعث الله النبي -صلى الله عليه وسلم- من العرب، وليس من الأعراب، وعليه فإن الآية الأولى نزلت في (العرب)، والثانية في (الأعراب).

٢) لو لم يكن العرب على الرجس والضلالة ما بعث الله فيهم رسولًا ليزكيهم؛ فليس بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيهم بمدح لهم بل هو امتنان عليهم؛ ومن ثَمَّ لا يوجد تعارض بين الآيتين.

٣) الذم الذي وجه للأعراب لم يوجه إليهم حال إيمانهم، وكذلك لم يوجه إليهم جميعًا، ولم ينفِ عنهم وجود صفات طيبة تؤهلهم لقبول الإيمان والتحسن معه، مما لا يمنع أن يوجه إلى بعضهم الذم، وإلى الباقين المدح.

التفصيل: أولًا، هناك فرق بين (الأعراب) و(العرب) في اللغة، وقد بعث الله النبي -صلى الله عليه وسلم- من العرب غير الأعراب.

فـالعرب هم سكان القرى المستقرون في أماكن ثابتة، وبدهي أن الذي يحيا في القرية ويتوطنها له جيران، وله قانون يحكمه، وله إلفٌ بالمكان، وإلف بالمقيمين، ويتعاون مع غيره، ويتطبع بسكان القرية، ويألفهم ويألفونه، ومع الإلف والائتلاف يكون اللين في التعامل، بخلاف من يحيا في البادية؛ فهو يمتلئ بالقسوة، والفظاظة والشراسة؛ لأن بيئته نضحت عليه، والوحدة عزلته.

وأما الأعراب من سكان البوادي، فليس لهم استقرارٌ في مكان، إنما يتتبعون مواضع الكلأ، وليس لهم توطن، ولا أنس لهم بمقام ولا بمكان، ومعنى ذلك أنه ليس لهم سياسة عامة تحكمهم في تلك البادية، وكل واحد منهم متفرد برأيه، أو متبع لرئيس القبيلة، وما داموا بهذا الشكل، وليس عندهم توطن يوحي بالمعاشرة، التي تقتضي اللين في الجانب وحسن التعامل؛ فإنه لذلك يقال عن كل واحدٍ منهم (مستوحش)، أي: ليس له ألفة بمكانٍ، أو جيران، أو قانونٍ عام.

ولما كان ذلك من شأن الأعراب، ودلَّ على قصورهم عن المرتبة الكاملة؛ فصاروا دون من سواهم، وترتبت على ذلك أحكامٌ ثلاثة:
١- أنهم لا حق لهم في الفيء ولا الغنيمة.
٢- إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة لما في ذلك من تحقيق التهمة.
٣- أنَّ إمامتهم لأهل الحاضرة ممنوعة؛ لجهلهم بالسنة، وتركهم الجمعة.

لذا فإنهم منفصلون تمامًا عن العرب في الصفات والأحكام، فإن كان الله
-عزَّ وجل - قد امتدح العرب في آية سورة الجمعة، فإنه في آية سورة التوبة لم يذمهم، بل ذم الأعراب الذين تقدم وصفهم؛ إذن فلا وجه للتعارض بين الآيتين.
ثانيًا: قوله عزَّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ٢﴾[٤٣]
ليس بمدحٍ لهم وإنما هو امتنان عليهم، وفيه معنى أنهم كانوا على الرجس والضلالة، وإلا ما بعث فيهم رسول ليزكيهم.
والتزكية مشتقة من: (زكا) يزكو زكاةً، وهي كلمة متضمنة لمعنيين: الطهارة والنماء؛ لذا كانت مهمة النبي -صلى الله عليه وسلم- مع العرب الأميين ذات شقين:

الأول: تطهير العقول من خرافات الشرك وأباطيله، وتطهير القلوب من قسوة الجاهلية وغلظتها، وتطهير الإرادات من الشهوات البهيمية، وتطهير السلوك من رذائل الجاهلية.
والثاني: تنمية العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، والإرادات بالتوجه إلى عمل الصالحات، والسلوك بالتزام العدل والإحسان ومكارم الأخلاق، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد علم

[٤٣] القرآن ، الجمعة ،ص ٢

العرب الكتاب والحكمة، وزكاهم أعظم تزكية بما هدم فيهم من أفكار الوثنية، وانحرافات الجاهلية، وما بنى فيهم من معارف التوحيد، وفضائل الإيمان، فكانوا -بحق- خير أمةٍ أخرجت للناس؛ كما وصفهم عزَّ وجل:
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠)﴾.

ثالثًا: ثم إنَّ معنى الأميين أنهم لا يقرأون ولا يكتبون، كما أنَّ الله عز وجل تحدث عنهم في الآية نفسها وسماهم ضالين قبل النزول، وفي غيرها سمى عصرهم عصر الجاهلية، وسمى تصرفاتهم حمية الجاهلية، وسمى سلوكهم موتًا وكفرًا، وجهلًا وظلامًا، ولكنه أرسل رسوله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وإن انتفى المدح عن هؤلاء العرب قبل البعثة، فقد انتفى وجه التعارض المتوهم بين مدحهم مرة، وذمهم أخرى.

رابعًا: كل ما يظنه البعض من التناقضات مثله مثل ما ردَّ عليه بالسابق يحتاج الأمر لتدبرٍ وإلمامٍ بلغة العرب والأحداث التي نزلت بسببها الآيات وغير ذلك، لا مجرد الأخذ بظاهر الآيات دون فهم وتفكر وتدبر.

خامسًا: إنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب والعرب هم أكثر الناس فهمًا للغة وقريش أكثر العرب فهمًا للغة وهم من وصلوا باللغة إلى المنتهى؛ فلو كان هناك أي تعارضٍ لتحجج مشركو قريش بهذه التناقضات ليثبتوا صحة ادعاءاتهم المكذوبة، لكنهم لم يجرأوا على ذلك، وفي هذا دليلٌ لا يدحض على أنَّ القرآن ليس فيه أي تناقض بل يكمل كلٌّ منه الآخر.

الشرط الرابع:
أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحي إليه به، ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة وهي المعجزات التي بُعث بها الرسول ودعا إلى كتابه على أساسها، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر أو يثبته بالكتاب نفسه.
أولًا: مما لا شك فيه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ادعى أنه نبي يوحى إليه، وهذا حين قام في قومه يبلغهم رسالة الله عز وجل إليهم، قال لهم بعد أن نادى في جميع بطون قريش: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم ماجربنا عليك إلا صدقًا، قال:
"فإنِّي نذيرٌ لكم بين يَدي عَذابٍ شديد".

ثانيًا: المعجزات التى بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة ومتنوعة ولكن سنتناول معجزة واحدة من هذه المعجزات وهي أعظمها وأعلاها، وكانت ومازالت وستظل معجزةً يشهدها الجميع إلى يوم الدين وهو الكتاب نفسه (القرآن الكريم).

الإعجاز بالقرآن الكريم:

١-المراد بهذا الدليل أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أنه مُرسلٌ من عند الله إلى الناس جميعًا جاء بكلامٍ من جنس كلام الناس، وذكر أن الله أنزله إليه، وجعله دليلًا على صدقه، وجعل علامة ذلك أنه لا أحد من الإنسان والجن يستطيع أن يأتي بمثله في بلاغته، وبيانه، وفصاحته، وإتقانه، ومضمونه، وأعلن ذلك، وحث الناس على معارضته، وقرعهم، ووبخهم، قال تعالى:
(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨))[٤٤].
فلم يستطع أحدٌ منهم ولا من الجن أن يأتي بما ينقض ذلك التحدي ولا أن يخرج دليلًا يثبت به أنَّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله.

٢- بل من ومن العجب العجاب أنَّ هذا التحدي نزل بداية في قريش وهم أصل اللغة والفصاحة البلغاء ولا يوجد من يعلوهم في هذه اللغة، ومع ذلك عجزوا تمامًا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن!.
فرفع النبي صلى الله عليه وسلم سقف التحدي معهم فقال لهم كلام الله تعالى:

---

[٤٤] القرآن ، الإسراء ،ص ٨٨

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(١٣)).[٤٥]

٣-ولم يكتفِ بهذا بل رفع سقف التحدي أكثر وأكثر وطلب منهم أن يأتوا ولو بمثل سورةٍ مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى:

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٢٣)) [٤٦].

ومع ذلك عجزوا عن أن يأتوا بمثل سورة مما أنزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، بل وفي كل مرة يتحداهم أن يدعوا معهم ما يريدون لمحاولة الإتيان ولو بمثل سورةٍ من القرآن ونحن نعلم أنَّ أصغر سورة في القرآن هي (الكوثر)، وهي لم تتجاوز العشر كلمات، وهنا ليس المقصود أن يأتوا بمثله بأن يفعلوا مثل ما فعل البعض وجاؤوا بكلمات على نفس نغم القرآن، فضلًا عن أن ما جاؤوا بها كانت كلماتٌ عبثية لا قيمة لها ولا فائدة منها ولم تقدم معنى أو مضمونًا حقيقيًا ويظنون أنَّ هذا مثل ما جاء به![٤٧]

٤- وكما قال الخطابى: "إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب قاطبةً بأن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقي صلى الله عليه وسلم يطالبهم به مدة عشرين سنة،

---

[٤٥] القرآن ، هود ،ص ١٣

[٤٦] م.س ، البقرة ،ص ٢٣

[٤٧] لماذا الإسلام وسط الزحام، محمد سيد صالح،حروف منثورة ،ص ٤٤-٤٥

مظهرًا لهم النكير، زاريًا على أديانهم، مسفهًا آراءهم وأحلامهم، حتى نبذوه وناصبوه الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأريقت المُهج وقطِّعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم، لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول، إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا ما لا يفعله عاقل، ولا يختاره ذو لب، وقد كان قومه -قريش خاصةً-

موصوفين برزانة الأحلام، ووقار العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء، المصاقع والشعراء المفلقون"[٤٨]

٥- ودلالة القرآن على صدق النبي صلى الله عليه وسلم دلالة ابتدائية موجبة، وليست دلالةً قائمة على مجرد التحدي للمخالفين بالمعارضة، ومعنى هذا أنَّ الأصل فى دلالة القرآن على ثبوت صدق النبي صلى الله عليه وسلم أنه بلغ الغاية في الكمال، والنهاية في البيان والفصاحة، وخرج بذلك عن مقدور الجن والإنس، وهذا القدر ثابتٌ للقرآن منذ نزوله، وهو متحقق فيه، سواء وقع التحدي به أو لم يقع، وفي بيان هذا المعنى يقول (ابن تيمية): "والقرآن إنما تحداهم لما قالوا: إنه افتراه، ولم يتحدهم به ابتداءً".[٤٩]

---

[٤٨] **(بيان إعجاز القرآن، الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٢١).**

[٤٩] النبوات ، ابن تيمية ، ٢/٧٩٤

وهذا يعني أنَّ المعنى المحوري في دلالة القرآن على صدق النبوة ابتدائية داخلة في حقيقته ومضمونه، وأن عجز الناس بعد تحديهم ليس إلا لإظهار دلالة القرآن على صدق النبوة.

وهذا الدليل يعني الإعجاز بالقرآن هو أصل الأدلة التي تقوم عليها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، والأساس الذي تعتمد عليه والبرهان الذي تستند

إليه، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في قوله:

"ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة" [٥٠]

والشاهد البين أن هذا الشرط أيضًا توافق تمامًا مع ميزان الكتاب الحق.

الشرط الخامس:

أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نُسب إليه ثابتة بالتواتر بالطريق القطعي:

أولًا: ما هو التواتر:

التواتر هو أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، حتى تصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أسند إليه القرآن ونسب إليه ونزل به الوحي عليه، وهذه الكيفية لا تقبل التشكيك.

---

[٥٠] أخرجة البخاري ، رقم ،٤٩٨١

ثانيًا: مما يدل على تواتر القرآن نسقُه وحصول التحدّي بمجموعه، فكلُّ ما بين دفتي المصحف أجمع أهل الملة على أنه كتاب الله، وفيه جميع مواصفات التحدِّي التي في بقية القرآن، لا فرق في ذلك بين آية التوبة وغيرها، فلو قدر أنه غير متواتر ولا تصحّ قرآنيته لأمكنت محاكاة بعضه والإتيان بمثله، وهو ما لم يقع.

ثالثًا: ميّز الله -تعالى- القرآن الكريم؛ بجعله خاتم الكتب السماوية، وحفظه من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل، قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥))..(الأنعام).

وقد حُفِظ رَسمًا ولَفظًا منذ نزوله على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- إلى آخر الزمان؛ فقد تمّ نَقله من عصرٍ إلى آخرٍ بالتواتُر، فلم يَرْد في أيّ عصرٍ من العصور الخِلاف في سورةٍ أو آيةٍ أو كلمةٍ من كلماته، فكان القرآن الكريم متواترًا باللفظ، وكيفية الأداء؛ أي كيفية النطق بالكلمة والحرف على الهيئة المَرويّة، ومن الجدير بالذكر أنَّ من أهم أسباب حفظ القرآن الكريم لَفْظًا: قوة الحِفظ والذاكرة، بالإضافة إلى الحَضِّ على حِفظه في الصدور في كل عصر.

رابعًا: يدلُّ على تواتُر القرآن الكريم حِفْظه من قِبلِ عددٍ من كبار الصحابة رضي الله عنهم؛ كعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعريّ، وأبيّ بن كعب، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا، وقد حفظوه في الصدور في عهد الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم وعرضوه عليه،

كما حَفِظَه غيرهم من الصحابة، ومنهم: معاذ بن جبل، وأبو هريرة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم جميعًا، كما نُقِل القرآن الكريم حِفظًا عن الصحابة إلى أعدادٍ كبيرةٍ من التابعين، والذين يصعُب عدُّهم أو حَصرهم، فعلى سبيل المثال كان أبو الدرداء رضي الله عنه يُعلّم القرآن لِما يقرب من ألفٍ وستّمائة رجلٍ، وكان لكلّ عشرة رجالٍ مُقرِئٌ، وممَّا يُروى في ذلك أنّ عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- كان قد أمر رجلًا أن يقرأ بالترتيل حين سَمِعهُ يقرأ مُتعجّلًا؛ فعن إبراهيم النخعيّ أنَّه قال: "قرأ علقمة على عبد الله، فكأنه عَجِل، فقال: فداكَ أبي وأمي، رتِّل، فإنَّه زين القرآن".

وقد ذكر الإمام الذهبيّ -رحمه الله- واحدًا وعشرين من التابعين القُرَّاء، وجعلهم الطبقة الثالثة في الرواية عن الرسول صلَّى الله عليه وسلّم، مع الإشارة إلى أنَّ الذهبيَّ صعُب عليه حَصر العدد، كما كانت أعداد القُرّاء في ازديادٍ مُستمرٍ

كلّما امتدّ الإسلام، وفي زمن الإمام ابن الجزريِّ -رحمه الله- بلغ عدد

ترجمات القُرّاء أربعة آلافٍ، ممَّا يدلُّ أيضًا على أنَّ عدد التلاميذ الحُفّاظ كبيرٌ مقابل عدد القُرَّاء، ويُستنتَج ممَّا سبق أنَّ التواتُر والصحَّة من الأمور المقطوع بتحقُّقها في العصور جميعها، ومن الجدير بالذكر أنَّ علماء المسلمين قد أجمعوا على تواتُر القرآن الكريم، رُوِيت في ذلك عدَّة أقوالٍ، منها: ما ورد في تيسير التحرير: "والقرآن كلُّه مُتواترٌ إجماعًا"، وما ورد في شرح التحرير: "أنَّ جميع القرآن متواترٌ إجماعًا"، وقال الإمام القرطبيُّ

رحمه الله: "أنّه يعلم على القطع والبتات، أنَّ قراءة القرآن تلقينًا متواترةٌ
عن كافّة المشايخ، جيلًا فجيلًا، إلى العصر الكريم، إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم".

خامسًا: كان رسول الله -صلَّى الله عليه وسلّم- أحرص الناس على حِفْظ القرآن الكريم، والعناية بآياته، لا سيَّما أنّه المُكلَّف الأول بتبليغه للأمَّة، وممَّا يدلُّ على شدَّة اهتمامه -عليه الصلاة والسلام- بالقرآن الكريم أمرُه للصحابة -رضي الله عنهم- بحِفْظ القرآن في صدورهم، ومن المواقف التي تُصور مقدار لهفة النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى تلقِّي كلام ربّه -عزَّ وجلَّ- وحِفْظه سرعتُه في تحريك لسانه بما نزل عليه من الوحي؛ رغبةً واستعجالًا في حِفظه، فنهاه الله -تعالى- عن ذلك، وقال:
(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)) (القيامة).
وكان رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- كلَّما نزلت عليه آياتٌ من القرآن الكريم، يأمر كتَّاب الوحي من الصحابة -رضي الله عنهم- بكتابتها، وينهاهم عن كتابة أيِّ شيءٍ غير القرآن؛ حِرصًا منه على عدم اختلاط آيات القرآن الكريم بسُنَّته، فقد رُوِي عنه -عليه الصلاة والسلام- أنّه قال: "لا تَكْتُبُوا عَنِّي، ومَن كَتَبَ عَنِّي غيرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وحَدِّثُوا عَنِّي، ولا حَرَجَ".[٥١]

[٥١] رواه مسلم رقم ٢٠٠٤

كما كان -عليه الصلاة والسلام- يأمر كُتَّاب الوحي بوَضع كلّ آيةٍ في مَوضعها، إلى أن اكتمل نزول الوحي؛ وتجدر الإشارة إلى أنَّ رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- كان يحثُّ أصحابه رضي الله عنهم، ويُشجّعهم على حِفظ القرآن الكريم، وتلاوته، ومراجعة الحِفْظ، وتعاهُده؛ لئلَّا يتفلّت منهم، قال عليه الصلاة والسلام:
"تَعاهَدُوا القُرْآنَ، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لَهو أشَدُّ تَفَصّيًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها"[٥٢] وقال: "اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ".[٥٣]
وقال أيضًا: "يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرأها" [٥٤].
وهكذا حَفِظ الصحابة -رضي الله عنهم- القرآن الكريم في عهد النبيِّ عليه الصلاة والسلام، ودوّنوه.

سادسًا: تولَّى أبو بكر الصدِّيق -رضي الله عنه- خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكانت بعض قبائل العرب حديثة العهد بالإسلام قد ارتدَّت عنه، فقرَّر الصدِّيق -رضي الله عنه- قتالهم، وخاضت
الدولة الإسلامية حروبًا طاحنةً مع جيوش الردَّة، فخَشيَ عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- ضياع شيءٍ من القرآن الكريم؛ بسبب

---

[٥٢] رواه البخاري رقم ٥٠٣٣
[٥٣] رواه مسلم رقم ٨٠٤
[٥٤] رواه الألباني رقم ١٤٦٤

استشهاد الكثير من قُرَّاء الصحابة في تلك المعارك، واقترح على الخليفة أبي بكرٍ جَمْعَ القرآن الكريم في مصحفٍ واحدٍ، إلَّا أنَّ الصدِّيق -رضي الله عنه- تردَّد في بداية الأمر، وكان رَدُّه: "كيف تفعلُ شيئًا لم يفعله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؟!"، واستمرَّ عمر -رضي الله عنه- بإقناعه في الأمر حتى شرح الله -تعالى- صدرَه، ثمَّ كلّفَ زيدًا بن ثابت -رضي الله عنه- بأمر الجَمْع، فأخذ يتتبَّع القرآن الكريم، ويجمعه من صدور الرجال، وما كُتِب عليه، إلى أن جمعَه في مصحفٍ واحدٍ، وتمّ حِفظ القرآن الكريم عند أبي بكر الصدّيق -رضي الله عنه- إلى حين وفاته، ثمَّ عند عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ثمَّ عند أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها، وتجدر الإشارة إلى أنَّ سبب تردُّد أبي بكر -رضي الله عنه- في جَمْع القرآن في البداية؛ يرجع إلى خشيته من أن يبتدع أمرًا في الدِّين، ثمَّ شرح الله صدرَه، وفي الحقيقة فإنَّ جَمع القرآن الكريم لم يكن بِدعةً، وإنّما كان اجتهادًا سائغًا، لا سيَّما أنَّ
رسول الله -صلَّى الله عليه وسلّم- قد أمر بكتابة القرآن، وإنَّما كان جمعُ أبي بكرٍ للقرآن كتابةً للمكتوب، وقد أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على استحسان ما قام به الصديق رضي الله عنه، كما قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:
"أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكرٍ، إنَّ أبا بكرٍ كان أول من جمع بين اللوحين".

سابعًا: وقع الجَمْع الثاني للقرآن الكريم في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه؛ ويرجع السبب الرئيسيّ فيه إلى

وقوع الخلاف بين الناس في القراءات، وبالتحديد في حروف الأداء، ووجوه القراءة؛ وذلك بعد اتِّساع رُقعة الدولة الإسلاميّة، ودخول غير العرب في الإسلام، حتى كادت تقع الفتنة بين الناس، إذ جاء حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- إلى عثمان بن عفّان -رضي الله عنه- يُخبره عن حال المسلمين، فرأى أمير المؤمنين أن يجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، وذلك بعد أن استشار أعلام الصحابة رضي الله عنهم، وأصحاب الرأي، فنُسِخ القرآن الكريم في مصاحف، ووُزِّع على الأمصار، وجُمِعت الأمَّة على مصحفٍ واحدٍ،

وأُحرِقت باقي المصاحف.

أخرج الإمام البخاريّ في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

(أَنَّ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، قَدِمَ علَى عُثْمَانَ وكانَ يُغَازِي أهْلَ الشَّأْمِ في فَتْحِ أرْمِينِيَةَ، وأَذْرَبِيجَانَ مع أهْلِ العِرَاقِ، فأفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ في القِرَاءَةِ، فَقالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أدْرِكْ هذِه الأُمَّةَ، قَبْلَ أنْ يَخْتَلِفُوا في الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ والنَّصَارَى، فأرْسَلَ عُثْمَانُ إلى حَفْصَةَ: أنْ أرْسِلِي إلَيْنَا بالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا في المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إلَيْكِ، فأرْسَلَتْ بهَا حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ، فأمَرَ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وسَعِيدَ بنَ العَاصِ، وعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا في المَصَاحِفِ، وقالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إذَا اخْتَلَفْتُمْ أنْتُمْ وزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ في شيءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بلِسَانِ قُرَيْشٍ، فإنَّما نَزَلَ بلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حتَّى إذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إلى

حَفْصَةَ، وأَرْسَلَ إلى كُلِّ أُفُقٍ بمُصْحَفٍ ممَّا نَسَخُوا، وأَمَرَ بما سواه من القرآنِ في كلِّ صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحرق).[٥٥]

ثامنًا: أنزل الله -تعالى- القرآن الكريم على خَاتم الأنبياء والمرسلين؛ ليكون هدىً ونورًا للعالَمين؛ فمن آمن به نجا، ومن تمسَّك به عَصَمه الله -تعالى- من الضلال والفِتَن، ومن حكم به عَدَل، وقد تعهّد الله -سبحانه- بحِفظ القرآن الكريم من التحريف، والنقص، والضياع، قال عزَّ وجلَّ:
(إنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإنّا لَهُ لَحافِظونَ(٩)).[٥٦]
وحفظته أمَّة الإسلام منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتزموا بما نَزَل به من الأحكام والتشريعات، وعملوا بها، واعتنت به عنايةً حثيثة؛ فمن علماء المسلمين من قضى عمره بالبحث في تفسير آياته، وألَّفوا في هذا المجال آلاف المُجلَّداتِ والكُتب، ومنهم من تخصَّص في البحث بالمتشابه والمُحكم من آياته، ومنهم من بحث في جَمْع القرآن الكريم، وتدوينه، ومنهم من تخصَّص في علوم القرآن الكريم، واستنباط الأحكام، كعِلْم الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والإعجاز، ومن أهل العلم من اعتنى بإعراب القرآن الكريم، ومنهم من اعتنى بما نزل فيه من القصص والحِكَم. وبذلك فقد اعتنى المسلمون بالقرآن الكريم في العصور كلِّها عناية شديدة، وممَّا يدلُّ على ذلك أيضًا تحريرهم للقراءات، والتفريق

---

[٥٥] رواه البخاري
[٥٦] القرآن ، الحجر ،ص ٩

بين الشاذِّ منها، والمُتواتر، بالإضافة إلى أنَّهم وضعوا عددًا من القواعد التي لا تثبت القراءة إلَّا بها، وهي موافقة القراءة لوجه النحو، والإسناد المُتِّصل في كلِّ طبقةٍ، والاحتمال للرَّسم العثمانيّ، ومن مظاهر عناية المسلمين بكتاب الله -تعالى- أيضًا تلقِّيه مُشافهةً كما تلقّاه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عن جبريل عليه السلام، وقد اهتمَّ العلماء في كلِّ عصرٍ بدراسة المكّي والمدنيّ من الآيات، والتمييز بينها، وخلصوا إلى أنَّ ما نزل قبل الهجرة يُعَدُّ مكّيًّا، وما نزل بعدها يُعَد مدنيًّا، وبحثوا في ترتيب الآيات، وبيَّنوا أنَّه توقيفيٌّ، كما اهتمُّوا بدراسة رَسم القرآن الكريم، وغيره من العلوم.
وبعد هذا التوضيح يتبين للعاقل أنَّ القرآن وصل متواترًا بحيث لا يحمل أي مجالٍ للشك بل ولا يوجد كتاب مقدسٌ أو حدث تاريخي تم الاعتناء به وبتواتره كالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وهنا أتذكر قول المستشرق الألماني (اسبرتكر) -وهو من أعداء الإسلام- قال في مقدمته بالإنجليزية لكتاب الإصابة: "لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما لا توجد الآن أمةٌ من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما أتى به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطير، الذي يتناول أحوال خمس مائة ألف رجل وشؤون حياتهم".
وهنا أقول إذا كانت أمتنا حرصت حرصًا شديدًا على معرفة أسماء وشؤون الرجال الذين ينقلون لنا الأخبار جيلًا بعد جيل فكيف لا تهتم بمعرفة تواتر القرآن وكيف وصل إلينا؟! والشاهد أنَّ أمة

الإسلام اعتنت بهذا الباب واهتمت بأدق الدقائق المتعلقة بتواتر القرآن الكريم، وهنا يكون هذا الشرط أيضًا استوفى.

الشرط السادس:
ألَّا يتعارض القرآن الكريم مع العلم؛ فالذي أنزل القرآن هو الله سبحانه وتعالى والذي خلق الكون وقوانينه هو الله فيستحيل أن يتعارض كلام الله مع العلم والكون وقوانينه وهم من صنع الله.

أولًا: هل الإسلام يتناقض مع المنهج العلمي والبحوث العلمية؟!

الإجابة:
١- لابد أن نفهم بعض الأشياء قبل الرد على السؤال:
العلم في مواضع كثيرة جدًا يتغير فربما ما وصل إليه العلم اليوم وظن أنه حقيقة علمية يُكتشف بعد ذلك أنه غير حقيقي وغير علمي ولا يؤخذ به.
والأمثلة على ذلك كثيرة ولكن سأذكر مثالًا واحدًا يدل على أنَّ العلم يتغير وهو:

نظرية (أينشتاين) الكونية أو نظرية (الكون الثابت)، كان أينشتاين قديمًا يظن أنَّ الكون ثابت وأزلي أى ليس له بداية وأقنع الكثير بذلك وأن العلم يقول ذلك!.
حتى جاء (إدوين هابل) عام ١٩٢٩ واكتشف أن الكون يتسع بمرور الوقت وليس ثابتًا ولم يكن ثابتًا من قبل، وأن الكون له بداية وهذا الاكتشاف أصبح حقيقةً علمية مما جعل أينشتاين يعتذر عن نظريته ويندم عليها..

وسبب كلامي هذا ليدرك البعض أنه لا يصلح أن نقيس أي بحث علمي بالقرآن ونغالي في العلم ونظن أنه مادام مخالف لآيات القرآن أن القرآن يتناقض مع العلم! لأنه يستحيل التناقض.

فالأبحاث العلمية إما أن تكون فرضية -أي فكرة في العقول ليس عليها أدلة- وهذه لا يصلح أن نقيس عليه القرآن الثابت لأنها من الممكن أن تتغير؛ وإما أن تكون نظرية والنظريات العلمية حولها أدلة ولكنها لم ترتقِ لمرتبة الحقيقة وربما تتغير في المستقبل؛ لذا لا يصح أن نقيس عليها القرآن الثابت؛ وإما أن تكون حقيقةً علمية مُثبتة وهنا يستحيل أن يتناقض القرآن مع العلم المُثبت، ولو رآيت تناقضًا فتأكد أنك لم تفهم النص القرآني جيدًا..

٢- أنه ليس من الجيد المغالاة في العلوم التجريبية وتقديسها واختزال كل مصادر المعرفة في العلم التجريبي وحده، وهذا قد يقع فيه كلا الفريقين الملحد أو العلماني، والمسلم بعض الشيء.

فتجد أن الملحد قد يظنُّ أنَّ ما جاء في البحث العلمي ليس فيه خطأ ألبتة وأنه حقيقة مُطلقة، ونجد بعض المسلمين يحاولون تأويل آيات الله تأويلاتٍ بغير محلها ليطابقوها مع البحث العلمي، وهذا غير صحيح فالقرآن ليس بحاجةٍ لهذا الخلط لُيثبت أنه معجزة بل فيه ما هو أكبر من الإعجاز العلمي مما يجعله الكتاب الوحيد الحق، هذا مع عدم نفي أن القرآن فيه إعجازاتٌ علمية حقًّا.

٣- هناك من يتعامل مع القرآن على أنه كتابٌ علمي أو كتابٌ تاريخي أو كتاب فيزيائي أو جغرافي، وهذا خاطئ؛ فالقرآن الكريم هو دستورٌ ننطلق منه وهو كتاب آيات وإشارات حوى كل شيء في الوجود وضبط لنا كل شيء في الوجود، ولكن لم يُفصل لنا كل شيء في الوجود تفصيلًا وإلا لاحتاج أن يكون كتابًا بحجم الكرة الأرضية مما يجعل استحالة قراءته؛ فلذا جعله الله سبحانه وتعالى كتاب إشاراتٍ وآيات ننطلق من خلالها في كل أمور دنيانا، وفصَّل لنا ما نحتاج فيه التفصيل فقط..
فالإسلام منهجٌ يشمل الحياة العلمية والعملية والاجتماعية، وجاء لينظم لنا كيف يتعامل الإنسان مع ربه ومع نفسه ومع المجتمع ومع أسرته، ومع سائر المخلوقات من جمادٍ ونبات وحيوان ومع العقل والفكر والعلم والعمل والاجتهاد وغير ذلك..
ونأتي للسؤال التالي: هل القرآن يحارب العلم والعلماء ويغلق العقول؟!

ثانيًا: هل الإسلام يُحارب العلم والعلماء، ولا يهتم إلا بدعاء دخول الحمام ودعاء دخول المسجد والذِكر؟!

الإجابة:
بعد ما وضحت استحالة تعارض العلم مع الدين سلفًا، يأتي الردُّ على هذا السؤال، هل الإسلام يحارب العلم ولا يهتم إلا بالدعاء والذِكر؟!

في الحقيقة إنَّ الإسلام دينٌ شامل يشمل كل جوانب الحياة ولم ينظر للحياة نظرةً أحادية، فكما اهتم الإسلام بالروح والقلب والجسد أيضًا اهتم بالعقل، ووصل بكل منهم إلى المنتهى، فالله عزَّ وجل الذي قال :
(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [٥٧].
هو سبحانه وتعالى الذي قال:
(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ(١١))[٥٨].
فلا تعارض بين ضبط الروح والقلب وضبط العقل والعلم، بل هذا هو الحق الذى لا يملكه دين سوى الإسلام.

والآن نستعرض بعضًا من آيات وأحاديث رسول الله لنعرف من خلالها كيف وصل بنا الإسلام إلى منتهى ضبط العلم والارتقاء به.

---

[٥٧] القرآن ، البقرة ، ١٥٢
[٥٨] م .س ، المجادلة، ١١

١-كل علماء الكونيات يدرسون في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.. إلخ للبحث والوصول إلى بداية الخلق ونشأته، وهنا نجد أمرًا ربانيًا منذ أربعة عشر قرنًا بتعلم هذه العلوم والبحث في نشأة الكون والخلق، قال تعالى:
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ..).[٥٩]
هنا أمرنا الله بالبحث في كل العلوم لنصل إلى بداية الخلق؛ لأن الوصول لنشأة الخلق الأولى لن تأتي إلا بتعلمها، فقال سيروا في الأرض ولم يقل اجلسوا بالمساجد وادعوا الله!.

٢- يوجد حديث في الإسلام لا يوجد مثله في أي دستورٍ أو دينٍ سواه، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم:
"ما أنزلَ اللهُ داءً إلا وأنزلَ له شفاءً علمَهُ مَن عَلِمَه وجَهِلَهُ مَن جَهلَه".
وفي هذا الحديث معنىً رائع وهو ألَّا تتوقف عن البحث في العلم، ولو افترضنا أنَّ هناك وباءً ما، لم يُكتشف له دواء، وهناك عالمان مسلمٌ وغير مسلم يبحثان عن الدواء؛ فربما غير المسلم الذى لا يملك الحديث قد يمل من البحث ويقول إنَّ هذا الوباء ليس له دواء؛ أما المسلم لن يملَّ ولن يكل لأنه جازم على أن لكل داءٍ دواء كما أخبره رسول الله؛ فبالتالي سيظل إلى آخر نفسٍ يبحث وإن لم يجد سيورث هذه الهمة لمن خلفوه ليقينه بوجود الدواء.

---

[٥٩] م.س، العنكبوت، ٢٠

٣ـقال صلى الله عليه وسلم "العَالِمُ إذا اجتَهدَ فأصابَ له أجرَانِ، وإذا اجتهدَ وأخطأ لهُ أجرٌ".
وهنا يكون الأجرُ لكل مجتهد في العلم حتى وإن أخطأ ما دام يبحث ويمتلك أدواتِ العلم الصحيحة؛ تحفيزًا على طلب العلم والاجتهاد.

٤_ أول ما أنزل الله عز وجل على رسوله:
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)) [٦٠].
سنجد أنَّ أول ما نزل على رسول الله هو الأمر بأن يقرأ؛ لأنَّ القراءة مفتاح العلم والثقافة، ثم إشارة للقلم لأنَّ القلم هو أداة تدوين العلم.

٥_ قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ).[٦١]
فكيف نحقق هذه الآية إن لم يكن بيننا علماء يبحثون في الآفاق وفي أعماق النفس البشرية؟!

٦_ توجد آياتٌ كثيرة جدًا في القرآن تدعونا للنظر والتدبر في الإبل والسموات والجبال والأرض؛ وغير ذلك لأن الاكتشافات العلمية لن تأتي إلا بالتدبر والتفكر؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر (نيوتن)

---

[٦٠] القرآن ، العلق ،١ـ٤
[٦١] القرآن ، فصلت ،٢٤

عندما اكتشف قانون الجاذبية كان يجلس تحت شجرةٍ في حديقة منزله، فلما سقطت عليه التفاحة تدبر الأمر وسأل نفسه لمَ لم تصعد التفاحة للأعلى أو لمَ لم تذهب يمينًا أو يسارًا، حتى توصل إلى قانون الجاذبية بالتفكر والتدبر، لذا حثَّ الإسلام على التفكر والتدبر في مواضع كثيرة.

وأخيرًا: حتى لا أطيل النفس في هذا الأمر الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار، أؤكد على أنك لو وضعت إصبعك بشكلٍ عشوائي في أي موضعٍ من مواضع القرآن والسنة الصحيحة ستجد للعلمِ مكانًا بل ستجد الإسلام هو الدين الوحيد الذي وصل بالعلم إلى المنتهى.

فكيف للدين الذي يأمرنا بالبحث والاجتهاد والعلم أن يتعارض معه؟!

فلا تعارض بين تهذيب القلب وتهذيب العقل، كما أنَّ البعض يظنُّ أنَّ الموسيقى غذاء للروح؛ فالمسلم الحق يعلم أنَّ ذكر الله هو غذاء الروح الحق (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). [٦٢]

ثالثًا: اختم بكلامٍ يسيرٍ للعالم الطبيب (موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، في حديثه عن القرآن والعلم الحديث، يقول المؤلف: أن العلاقة بين الاثنين وثيقة على نحو مدهش، وهي علاقة تناغم وليست تنافرًا؛ أما ما يقال عن الإسلام في الغرب، فهو ناتج عن الجهل، وأحيانا القصد منه تشويه

---

[٦٢] القرآن ، الرعد ، ٢٨

السمعة؛ بيد أنَّ المواقف الجديدة التي بدأها الفاتيكان منذ السبعينات من القرن العشرين أسهمت كثيرًا في تغيير الموقف تجاه الإسلام.

وأخيرًا: فإن لم تكن الكتب الدينية أو المقدسة مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملًا، وتطرَّق إليها الريب والظن من كل جانب، وبذلك يتهدم الدين من أساسه ويؤتى قواعده، ولا يكون شيئًا مذكورًا في الأديان، بل يكون طائفةً من أساطير الأولين اكتتبها طائفةٌ من الناس، وادَّعوها دينًا ونسبوها لشخصٍ معترف به لتروج عند العامة وتدخل أوهامهم، ويعتمدون على الزمان في تمكينها في نفوسهم وقلوبهم،

ومن ينظر في القرآن وشروط ضبط حجيته سيجدنا قد استوفينا كافة الشروط التي تؤكد أن الإسلام هو دين الله الحق، والقرآن هو كلامه سبحانه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ليرضاه للعالمين دينًا ودستورًا.

وهو الدين الوحيد الذي تنطبق عليه كافة الشروط ولا دين سواه، وربما قد أسقطنا كل الأديان في الشرط الأول لمن يعد إليه، وحتمًا إذا سقط شرطٌ من شروط حجية الدين وقدسيته فلا يعد به ولا يعتبر ويسقط كونه منزَّلٌ من عند الله.

المبحث الخامس: الردُّ على دعاوى المستشرقين حول القرآن الكريم

الادعاء الأول:

القرآن فيه أخطاءٌ نحوية ولغوية فلو كان من عند الله لما كان فيه أي خطأ

الإجابة:

صراحة هذه الشبهه من أعجب الشبهات التي نسمعها؛ لأنَّ ادعاء أن القرآن الكريم فيه خطأ لغوي كأنه يدعي أنَّ مياه النيل العذبة لا تروي العطش!.
وأصحاب هذه الشبهه يرددون هذا العبث ليقولون أنَّ القرآن ليس من عند الله، وأنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم!.

والرد على هؤلاء كالتالي:

أولًا: أفضل البشر في اللغة العربية بلا منازع وقت نزول القرآن هم (العرب)، وأفضل العرب في اللغة العربية بلا منازع هم (قريش).

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب القرآن الكريم وهو من العرب ومن قريش فيستحيل أن تأتي أنت وتصحح له العربية؛ لأنه من الذين وصلوا باللغة إلى المنتهى.

ثانيًا: أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم آن ذاك من قبائل العرب وقريش كأمثال (أبو جهل) و(النضر بن الحارث) و(أبو لهب).. وغيرهم، من الذين وصلوا باللغة العربية إلى منتهاها من تذوُّقٍ وفصاحة وبيان، ومع ذلك ما استطاعوا ولا تجرأوا على أن يقولوا ذلك على القرآن الكريم، وهم أشد عداءً لرسول الله صلى الله عليه وسلم منك، ويتمنون زوال النبي ورسالته بأي ثمن، وحاولوا بطرقٍ عدة؛ كالمساومة، والإيذاء، والسب، والحرب، والمقاطعة، ووصف رسول الله مرةً بالكاهن، ومرةً بالمجنون، ومرةً بالساحر، إلى آخر تلك الأكاذيب.. ومع ذلك ما تجرأ أحدهم أن يدعى على القرآن بأنَّ فيه خطأ لغوي، ولو كان القرآن فيه أخطاء لغوية لرأينا أعداء رسول الله هم أول من نشروا هذا الأمر بين الناس ليسقطوا رسالته، وهذا سيكون أيسر لهم من كل ما فعلوه للتخلص من رسول الله!.

لكنهم ما استطاعوا، ولو كان أحدهم حاول أن يدعي هذا الادعاء، لانفضح أمره أمام الناس، لأنَّ العرب آن ذاك ذواقةٌ وتعرف العربية أكثر ما تعرف كيف تتنفس الهواء وتشرب الماء!.

ثالثًا: الأغرب والأعجب أنَّ علم النحو ذاته لم يكن قبل القرآن، ولكنه تأسس بعد نزول القرآن، والذي أسسه هو(أبو الأسود الدؤلي)؛ هذا الرجل كان أفصح الناس وأدهاهم في اللغة والشعر،

وهو أول من وضع علم النحو، وكانت مصادره في تأسيس علم النحو القرآن، والشعر؛ يعنى القرآن الذي تدَّعي أنَّ فيه أخطاء نحوية هو مصدر النحو! فبأي منطقٍ يدعي عاقلٌ مثل هذا الادعاء الأجوف؟!.

فضلًا عن أنَّ أبو الأسود الدؤلي قرأ القرآن مرارًا وتكرارًا، ولم يقل هذا العبث، فهل أنت أعلم بالنحو من مؤسس علم النحو يامن لا تفرق بين الخبر والمبتدأ؟!

لذا نقول أنَّ هذه الشبهة من أعجب الشبهات التي تدل على جهلٍ مركَّبٍ واضحٍ قبيح.

الادعاء الثاني:

شبهة الحروف المقطَّعة في القرآن..

قلتم ما معنى هذه الحروف وما فهمتم منها؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: أنَّ علماء المسلمين قد اجتهدوا في تفسير هذه الأحرف، والمعلوم أنَّ كثيرًا من تفسير القرآن -كما هو الحال مع تفسير الكتب السابقة- فيه مجالٌ لاجتهاد الراسخين في العلم، والعجيب أن يعيبوا الاجتهادَ في هذا الموطن، ولا يعيبوا اجتهاد مفسريهم في تأويل كثيرٍ من نصوص كتبهم!.

الثاني: عامة علماء المسلمين من أئمة التفسير نصُّوا على أنَّ لهذه الأحرف مدلولًا ومعنى.. حتى مَن قال منهم بأنها من أسرار القرآن -كما أنَّ لكل كتاب سماوي أسرارًا- لم يدَّعِ أنها لا معنى لها، ولا يمكن أن يكون في القرآن كلامٌ لا معنى له..

الثالث: إنَّ المشركين من العرب الفصحاء سمعوا بعض هذه الحروف فلم ينكروها؛ مع حرصهم على تنفير الناس عن الإسلام لأدنى زلَّة تُتَوهَّم، وشغفهم بالطعن فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.
قال الإمام السيوطي في (الإتقان): "والذي أقوله: إنه لولا أنَّ العرب كانوا يعرفون أنَّ لها مدلولًا متداولًا بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- بل تلا عليهم {حم} فُصِّلَت، و {ص} وغيرهما فلم

ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تَشَوُّفِهم إلى عثرةٍ وغيرها وحرصهم على زلَّة؛ فدلَّ على أنه كان أمرًا معروفًا بينهم لا إنكار فيه".
الرابع: أنَّ العرب قد وقع في كلامهم -نثرًا ونظمًا- الرمز إلى المعاني بالحروف ومنه:
قلتُ لها قِفِي فقالت قـاف * لا تحسبي أنَّا نسينا الإيجاف**
فقوله (قاف) أي وقفت.
ومنه أيضًا:
قولهم: (مهيم) أي: ما هذا يا امرؤ؟!

وقولهم: (أيش) أي: أي شيء؟!

فكيف تدَّعون أن هذا الاستعمال غير معهود ولا مقبول عند العربي؟![٦٣]

الثالث: أنَّ الله تعالى افتتح بهذه الحروف بعض السور للدلالة على عَظَمَة القرآن، وأنه معجزٌ لا يقدرون على معارضته مع أنه مركب من جنس هذه الحروف المقطعة التي يتحدثون بها، ففيها من التحدي لهم ما فيها.
حكاه الإمام الرازي في تفسيره عن المبرِّد وجمع من المحققين، وحكاه الإمام القرطبي عن الفرَّاء وقُطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف، وحكاه الحافظ ابن كثير في تفسيره عن شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المِزِّي، وقال عنه الثعلبي في (الكشف والبيان): "أحسن الأقاويل وأمتَنُها". واختاره جمع من المتأخرين.

ومما يقوي هذا الفهم: استقراء ما يأتي بعد هذه الحروف من ذِكرٍ للقرآن.. قال ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية:
"وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها، ألا ترى أنه

---

[٦٣] انظر: (بدائع الفوائد للعلامة ابن القيم، والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور).

يأتي بعد الحروف بذكر القرآن كما في قوله تعالى: { الَم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ}. [٦٤]

{الم(١)اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}، [٦٥] **{المص (١) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ }.** [٦٦]

{الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١)} . [٦٧]

قال الزمخشري: "ولم ترِد كلها مجموعةً في أول القرآن، وإنما كُرِّرَت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت، كما كُرِّرت قصصٌ كثيرة وكُرر التحدي بالصريح في أماكن".

ومع ذلك أيضًا فإنَّ فيها تنبيهًا للسامع ولفتًا لانتباهه.

الحروف المقطعة للتنبيه..

الحروف المقطعة للتعجيز

الحروف المقطعة لتعلم أنَّ القرآن جاء من نفس الحروف التي تستخدمها وتحداك قائلة أن تأتي بسورة من مثله.

الحروف المقطعة جمعها العلماء في جملة (نصٌّ حَكيمٌ قاطعٌ له سِر).

---

[٦٤] القرآن ، البقرة ، ١-٢

[٦٥] م.س، آل عمران ،١-٢

[٦٦] م.س، الأعراف ،١-٢

[٦٧] م.س، يونس ،١

الادعاء الثالث:

شبهة إحراق عثمان للمصاحف:

من أشهر ادعاءات المستشرقين ادعاء حرق عثمان بن عفان - رضي الله عنه- للمصاحف أثناء جمعه للقرآن الكريم:

أولًا: لا يعلم هؤلاء أنَّ عثمان أحرق المصاحف وليس القرآن؛ فالمصاحف كتاباتٌ شخصيةٌ متفرقة، وقد تُطلق على صحيفةٍ بها سورة أو حتى آية.
صحيح أننا اليوم نُطلِق لفظ (المُصحف) على القُرآن الكريم؛ إلا أنَّ هذا لم يكُن هو الحال قبل جمع عُثمان بن عفَّان للقُرآن الكريم كامِلًا في مُصحفٍ واحِد..
فالمُصحَفُ كما في المعجم الوسيط: مجموعٌ من الصُّحُف في مجلَّد؛ وغلب استعماله في القرآن الكريم.
إذن فالمصاحِف المنسوبة للصحابة لم تكن تجمع القرآن كاملًا بين دفتيها؛ إنما كان كُل صحابي يكتب بمِقدار ما سمِعهُ وعلى الحرف الذي سمِعهُ مِن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم؛ لكِن لم يُطلق على أي مُصحفٍ مِن مصاحِفِهِم قطُّ أنهُ (القُرآن الكريم).

فقد كان الصحابة يُدوِّنون في مصاحِفِهِم الخاصة هذه ما قد يُساعِدُهُم على الحِفْظِ و الاستِذكار؛ فمِنهم من أخطأ في الكِتابة،

ومِنهم من كتب ما صار منسوخًا ومِنهم من كتب تفسيرًا أو حديثًا، وجميعُهُم لم يكتُب القرآن الكريم كامِلًا ولا بِعُرضتِهِ الأخيرة؛ لِذا لا يُمكِن أن يُطلق على تِلك المصاحِف أنها القُرآن؛ وإنما بكُل بساطة هي كتاباتٌ وكُتُب الصحابة ومُدوّناتُهُم الخاصة.

ثانيًا: لماذا أحرق عثمان بن عفان هذه المصاحف الخاصة بعد أن جمع القرآن الكريم كاملًا؟

لأسبابٍ كثيرة، منها:
١- كان بها بعض العبارات التفسيرية باجتهادٍ من كاتبها مما قد يظن بعد ذلك أنها من القرآن.
٢- كان في هذه المصاحف قراءاتٌ غير صحيحة وآيات نسخت تلاوة ومازالت عندهم في هذه المصاحف.
٣- الطريقة التي كُتبت بها هذه المصاحف لا تحتمل وجود الألسن السبعة بل أكثرها كان يُعبِّر عن لسانٍ واحد عن قبيلة واحدة.
٤- اختلاف الطرق الإملائية في هذه المصاحف؛ فجعل عثمان النسخ كلها بخطٍ واحد كأنها نسخٌ ضوئية.

ثالثًا: لا يخفى إلا على جاهل أنَّ أصحاب المصاحف مثل أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب لم يعترض منهم أحدٌ وأجمعوا على صحة ما فعله عثمان وتمت عملية الإحراق أمام الكبراء من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعترض منهم ولو واحد.

روى البخاري في صحيحه أنَّ الصحابة لما كتبوا المصاحف أرسل عثمان إلى كل أفقٍ بمصحف مما نسخوا وأمرهم أن يحرقوا كل مصحفٍ يخالف المصحف الذي أرسل به.

رابعًا: خفي على هؤلاء المشككين أنَّ القرآن محفوظٌ في الصدور ويُشترط لنقله التلقي الشفاهي ولا قيمة للمكتوب في نقل القرآن، ولا يؤخذ القرآن من مُصْحفيّ؛ أي مِن قارئٍ مِن الكُتُب، وإنما يؤْخَذُ بالإقراء والتلقي من حافِظٍ قارئ.

فالقرآن الذي بين أيدينا تحقق صحته ومطابقته لأقدم صحيفةٍ تم العثور عليها للمصحف والموجودة في (برمنجهام) انجلترا اليوم.

فإذا كان القرآن تم تحريفه على يد عثمان صاحب النبي وتلميذه فكيف تم حفظ القرآن من بعده لألفٍ وأربعمائة عامٍ لم يتغير منه حرفٌ؟!.

رضي الله عن الصحابه أجمعين وجمعنا بهم مع سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم.

الادعاء الرابع:

سؤال: يقولون أنَّ القرآن الكريم مقتبسٌ من (الزرادشتية) و(التوراة) و(الإنجيل) وكذا من (الفراعنة)، وهذا دليلٌ أنه لم يكن من عند الله بل جَمَعه محمد من الأمم السابقة؟!

الإجابة:

بداية لا يوجد دليلٌ على هذا الكلام؛ ومع ذلك هذا الأمر لو صحَّ ويظهر وكأنَّ ظاهره شبهة واتهام للإسلام، لكن في حقيقته دليلٌ على صحة الإسلام وأنه من عند الله، لماذا؟

أولًا: مرة يدعون أنَّ الإسلام اقتبس من الزرادشتية ومرة يدعون أنه اقتبس من التوراة ومرة من الإنجيل ومرة من الهندوسية ومرة من الفرعونية.. إلخ، كل هذا لمحاولة نفي أنه من عند الله..

ثانيًا: لو تدبر الإنسان قليلًا سيعي استحالة هذا الادعاء؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، وشهد له بذلك كل من حوله، وكذا كان يعيش في الصحراء ولم يتجاوز الصحراء إلا للتجارة مراتٍ قليلة وأمام الناس.
ثالثًا: لم يُشهد على النبي أنه تلقى العلم على يد عالمٍ قط، ولم يتقابل مع علماء قط سوى (بحيرا) و(ورقة بن نوفل) وكانت مقابلة النبي بهما مقابلة

عابرة يستحيل أن يُحصل من خلالها الإنسان أدنى أدوات العلم أساسًا، فضلًا عن العلوم والأحداث المستقبلية التي أخبر بها رسول الله بعد وفاتهما.

رابعًا: كانت كل هذه الأديان -التي يدَّعون أنَّ النبي اقتبس منها- حبيسة المعابد والأديرة وفي أماكن شتى متفرقة وبلغاتٍ عدة غير القرآن.

والأسئلة عن هذه الادعاء:
•كيف لرجلٍ أميٍّ يعيش في زمن ليس فيه أي تواصل تكنولوجي -كما نحن الآن- وليس فيه سُبل اتصال، أن يجمع كل هذه المجلدات التي تتجاوز الآلاف ويترجمها للعربية من لغاتها المتعددة؟ وأن يتجول بين بلاد العالم لجمع كل هذه الكتب من أماكنها المختلفة؟!

•متى حدث وكيف وأين وما الدليل؟!
رغم أنه كان كثير الانشغال بالدعوة ونشرها.

•فكيف لرجلٍ واحد أن يجمع بين زوجاته التسع وبين نشر الدعوة؟ وبين الأذى الذي ناله، وبين حربه وسلمه؟ وبين تلقيه العلم وبين هجرته... إلى آخر الانشغالات التي لا يقوى عليها فريقٌ كامل إلا لو كان هذا وحيًا من عند الله؟!

•على من استطعت قياس هذا الفعل، فهل يوجد مثل النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ جمع بين كل هذا من قبل؟!

•كيف لرجلٍ واحد أن يجمع بين كل هذا في حين أننا في زمن العلم والاتصال يحتاج المتخصص في المجال الواحد إلى فريق عمل يعاونه ويساعده؟!

_فأخبار الأمم السابقة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم هي دليل على أنه نبي من عند الله..

•فضلًا عن أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأحداثٍ مستقبلية كثيرة ومتشابكة وحدثت كما أخبر عنها تمامًا، فكيف له هذا ومن أين وصل إليه؟!
وأخيرًا حتى لو صادف أنَّ هناك تشابهٌ في بعض الأشياء أو الأحكام التي في القرآن وفي أي دينٍ آخر فهذا لا يعني أنه بسبب الاقتباس؛ بل لأنَّ مصدر التشريع واحدٌ وهو الله عز وجل، فالله عزَّ وجلَّ أرسل رسلًا قبل رسول الله، وأرسل في كل أمةٍ وزمنٍ رسولًا أو نبيًا، قال تعالى:
(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)) (فاطر).
وقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...).(غافر(٧٨))

ومعنى هذا أنه من الطبيعي جدًا ومن المقبول أن تجد تشابهاتٍ في بعض التشريعات بسبب أنَّ كل التشريعات مصدرها واحد، ولكن كل تشريع ينزل بما هو يناسب كل مكانٍ وزمنٍ وينسخ ما قبله؛

حتى جاء الإسلام خاتمًا للأديان وديناً يتماشى مع كل الأماكن والأزمان ونسخ كل ما قبله.

الادعاء الخامس:

الإسلام فضَّل الرجل على المرأة لمَّا جعل القوامة للرجل، وكذا أباح ضرب الزوجة وهذا دليلٌ على أنه أهان المرأة فكيف يستقيم هذا مع كونه دينٌ من عند الله؟!.

الإجابة:

أولاً: المشكلة تكمن في اجتزاء بعض الآيات والأحاديث الصحيحة، أوبسبب الخلل في الفهم فينتج عنه هذا اللبس.
ثانياً: لابد من الرجوع لأصل الآية وفهمها بشكلٍ كامل لتتضح الرؤية كاملة.

قال تعالى:
(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)).[٦٨]

فى هذه الآية شبهتان يتساءل حولهما المُتشكك، ألا وهما:
١ـكيف ميَّز وفضل الإسلام الرجل على المرأة بالقوامة؟
٢ـ وكيف يسمح الإسلام بضرب المرأة؟!

الشبهه الأولى بالآية: القوامة هنا ليست من باب تمييز الرجل على المرأة؛ بل إن شئت قُل أنها تكريمٌ للمرأة وتكليف على الرجل!.

القوامة هنا تُعني أنَّ الرجل مُكلف بالقيام على احتياجات الزوجة من حمايةٍ بسبب طبيعته البيولوجية التي تختلف عن المرأة، والقيام على احتياجات المرأة المادية المشروعة كتوفير المسكن والمأكل والمشرب والملبس والرعاية التامة.
فليس من الطبيعي أن يكون رجلٌ نائم بجوار زوجته في منتصف الليل ثم يدخل عليهما لصٌّ مُقتحم للمنزل فيقول الزوج لزوجته انهضي لمقاومة اللص! فهذا لم يحدث بل العكس هو ما يحدث دومًا لأن الرجل قدرته البيلوجية أفضل من المرأة على مقاومة اللص، وهذا ما فضَّل الله به الرجل على المرأة؛ كما فضل الله المرأة على الرجل في العاطفة والولادة وغير ذلك.

---

[٦٨] القرآن ، النساء ، ٣٤

وكذا ليس من الصحيح أن تقوم المرأة بالنفقة على بيتها وزوجها جالسٌ دون عمل ولا فائدة، وإن كان كذلك فلا قوامة له لأنَّ الآية واضحةٌ ومشروطة بهذين الشرطين.

فملخص القوامة هو القيام على احتياجات البيت، كما نقول الجيش قائمٌ على الحدود لحماية الشعب، فقوامة الجيش تكليف وكذا قوامة الرجل تكليف وتكريم للمرأة.

هذه الشبهة الأولى، وكذا مربوطة بالشبهة الثانية ألا وهي ضرب المرأة.

ضرب المرأة:

لم يأمر الإسلام بضرب الرجل للمرأة كما يظن البعض ويروج الكثير دون فهم؛ فلا يحق للرجل إهانة زوجته ألبتة، ولا يحق له ضربها بسبب أنها تأخرت عن الطعام مثلًا أو وضعت زيادة من ملح الطعام على الطعام وماشابه!
إنما القضية هنا أن الزوجة قامت بفعلٍ أقبح من الضرب وأكثر إهانة على اعتبار أنَّ الضرب المذكور في الآية إهانة كما يدعي البعض، وهذا ما يغفل عنه الكثير ألا وهو النشوز، والنشوز معناه العصيان والتمرد والاستعلاء والاستكبار والجفاء والأذى والإيذاء دون مُبررٍ واضحٍ ومعلوم، فهنا يُعد النشوز أقبح عشرات المرات

من الضرب، فلمَ لا يتكلم المتشكك في نشوز المرأة ويجتزئ فقط جانبًا يُعد ردَّ فعل مُتأخر؟!

ومع ذلك رُغم ما قامت به الزوجة تجاه زوجها من نشوزٍ دون مُبرر ورُغم ما قام به الزوج من واجباتٍ عليه دون تقصير من حمايةٍ ورعاية ونفقة كما ذكرتُ سلفًا؛ إلا أنَّ الإسلام وضع تسلسلًا لحل المشكلة مُكونًا من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: العِظة، وهي أن يعظ الزوج زوجته بلينٍ ورفق وحُسن عشير، فإن عادت فلا يحق للزوج تجاوز الأمر وإن أبت وظلت على عنادها فعلى الزوج الذهاب إلى المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: الهجران في المضاجع، وهو أن يُعطى الرجل ظهره إلى زوجته في الفراش لتحن إليه وتشعر بذنبها، فإن عادت فعلى الزوج احترام عودتها وإن استكبرت فعلى الزوج اتباع المرحلة الثالثة والأخيرة.

المرحلة الثالثة: الضرب، والضرب هنا لا يعني الضرب المهين القاسي؛ بل الضرب الرقيق، وقد حدده عبد الله بن عباس رضي الله عنه -ترجمان القرآن- أن يكون بالسواكِ، وهدفه أن يُخبر المرأة أنَّ الحال وصل معه إلى مُنتهى الألم وبعدها لا حلَّ سوى الطلاق.

والسؤال للمتشكك: لماذا تُندد بردِّ الفعل المُتأخر وتتغافل عن أصل الفعل المتقدم في حين أن النشوز أكثر قبحًا من الضرب، هذا إن تبحث حقًا عن العدل؟!

ولكن قد يسأل سائل ويقول: لماذا ذكر الله الضرب؟ لماذا لم يكتفِ سبحانه بالعظة والهجر؟!
نجيب أنه في هذه الحالة قد يغضب الرجل على إهانة زوجته ويضربها بشكلٍ سريع مباشر وقاسٍ فهذا حال كثير من الناس وقت الغضب، بل وربما المرأة لو كانت تقوى على الضرب وزوجها نشز عليها لضربته ضربًا مميتًا!.
وربما يأتي سؤالٌ آخر: لماذا لم ينهَ الله سبحانه وتعالى عن الضرب بشكلٍ صريح؟!
نجيب أنَّ هذا قد يُشعر الرجل بالظلم وقد يتخذ قراراتٍ تهدم الأسرة، دون محاولةٍ للبحث عن حل.
فالدين دين الله والله يَسأل ولا يُسأل، ولكن أحببتُ إيضاح بعضٍ من الحِكم وراء ذلك فالإنسان ناقصٌ حتمًا وليس مُلمًا بكل معارف الحياة وجوانبها وتفاصيلها.
أخيرًا:

نؤكد أنَّ هذا في حال نشوز الزوجة على زوجها دون مُبرِّر وكذا بعد أن يكون قام الزوج بكامل أو مُعظم حقوقه تجاه زوجته، ويأتى الضرب كردِّ

فعلٍ على ما هو أقبح، وفي المرحلة الثالثة ودون إيذاء.. أما أن يظلم الزوج الزوجة أو يضربها دون سببٍ فإثمٌ وسيأتى إلى الله يوم القيامة وشقه مائلٌ كما في الحديث..

الادعاء السادس:

•لماذا الإسلام لم يساوِ بين الذكر والأنثى في الميراث وجعل نصيب الذكر مثل حظ الأنثيين، أليس في هذا ظُلمٌ للمرأة؟!.

•أولًا: لابد أن نعرف أننا خلقٌ من مخلوقات الله وكل مخلوقٍ قاصر، والقاصر علمه محدودٌ حتمًا.. فما يستطيع الإنسان منَّا بنظرته القاصرة أن يلم بكل جوانب الحياة، فربما نظرتنا للأشياء تكون نظرةً أحادية أو ثنائية؛
أما الخالق سبحانه وتعالى علمه مُطلقٌ ودستوره جاء ليراعي كُلَّ جوانب الحياة.

ثانيًا: هذا يُسمى اجتزاء وانتقاء لآيات الله عزَّ وجل؛ فآيات المواريث عديدةٌ وكثيرة وشملت كل أفراد العائلة، ولو قرأ السائل بقية الآيات دون أن يجتزئ نصف سطرٍ فقط من الآيات وفهم معاني الآيات سيعرف أنَّ هذا ينطبق على حالةٍ واحدةٍ، وهناك حالاتٌ ترث المرأة فيها مثل الرجل وحالات ترث المرأة أكثر من الرجل، وحالات أخرى ترث المرأة ولا يرث الرجل.

ولكننا لن نوضح هذه الحالات هنا لأنها تحتاج إلى شرحٍ خاص.
وسنوضح الحالة التي سأل عنها السائل وهي المنتشرة بين المتشككين.
الشرح:
أحيانًا تكون المساوة ظُلم بيِّنٌ وواضح، والأولى أن يحل العدل محل المساواة.
تخيل لو أنَّ رجلًا عنده ولدان أحدهما في الجامعة والثاني بالمرحلة الابتدائية، والذي يدرس في الجامعة يسافر مسافةً طويلة واحتياجاته حتمًا أكبر من أخيه الذي يدرس بجوار البيت.
لو أراد الأب تحقيق المساواة بينهما فالمساواة هي أنه لو أعطى الابن الأكبر مائة جنيهٍ فلابد أن يعطي الابن الأصغر أيضًا مائة جنيهٍ ليساوي بينهما!.. ولكن هنا ستكون المساواة ظُلمٌ لأن الابن الأكبر يركب مواصلة بخمسين جنيهًا واحتياجاته الدراسية أكبر، بعكس الابن الأصغر لا يحتاج لركوب مواصلةٍ ما، فضلًا عن أنَّ احتياجاته أقل.
فنجد أن المائة جنيهٍ التي أخذها الأخ الأكبر تعادل عشرين جنيهًا للأخ الأصغر.
وكذلك في هذه القسمة من الميراث (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حظِّ الأُنْثَيَين...).[٦٩]
لو أنَّ أبٌ توفاه الله وترك ابنًا وابنة وترك ٣٠٠ ألف جنيهٍ.

[٦٩] القرآن ، النساء ، ١١

هنا البنت في الإسلام لو تقدم لها أحد للزواج منها فهي ليست مطالبةً بالمهر أو النفقة وخلافه.
أما الولد مُطالبٌ منه المهر والنفقة الكاملة على زوجته وأسرته.
فلو ساوى الأب الميراث بين الابن والبنت سيظلم حينها الابن لا محالة؛ لأنَّ الابن سينفق كل ما ورثه على النفقة والمهر وورثه سيعادل وقتها صفر.
أما البنت سيظل معها المال دون أن ينقص منه شيئًا، بل ربما يزيد لو أنفق عليها زوجها.
أما العدل له رؤية أخرى وهي: أن يأخذ الابن ضِعف الأخت وهنا سيخرج من ميراثه النفقة على أسرته.
أما البنت ليست مُطالبةً بأي شيء كما وضحنا سلفًا؛ بل ربما لو تزوجت رجلٌ له ميراث سيقدم لها مهرًا وذهبًا وسينفق عليها ويزداد رصيدها، هذا هو الأصل.
والبنت لو أنفقت شيئًا على بيتها كمساعدةٍ لزوجها في أوقات محنته سيكون هذا فضلًا منها وليس فرضًا.
هذا هو عدل الله..
ونفهم من ذلك:
•أنَّ نفقة الرجل فرضٌ مُلزم بتحقيقه، ونفقة المرأة فضلٌ غير مُلزمة بتحقيقه.

•العدل أفضل من المساواة في مواطن كثيرة.
•آيات المواريث ليست محصورةً في هذا الجزء الصغير، وهناك حالاتٌ أخرى.

فليس من الفهم والأدب أن يظن أو يقيس الإنسان القاصر المحدود رؤيته على الخالق العليم القدير العادل المُتصف بالعلم المُطلق والعدل المُطلق!

الادعاء السابع:

لماذا جعل الله سبحانه وتعالى شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، أليس هذا انتقاصًا للمرأة؟!

الإجابة:

لو سألنا أصحاب الشبهة ما دليلكم يقولون قال تعالى:

(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ..) (البقرة)٢٨٢.

هكذا يجتزئون الآيات!..

والآن نعرض الآية كاملةً ثم نقوم بالردِّ علي هذه الادعاء الذي لا يحتاج كثيرًا من العناء، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (البقرة) ٢٨٢.

أولًا: ظنَّ البعض جهلًا وخطأً أنَّ الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في المطلق، وهذا مفهومٌ قاصر ومستقطع لخدمة هوى في النفس أو ما شابه، ليكذبون علي البعض من الذين لا يتدققون، ويشوهون صورة الإسلام أمامهم..
ثانيًا: قال صلى الله عليه وسلم (النساءُ شقائقُ الرجال).
أي أنَّ المرأة مثلها مثل الرجل تمامًا؛ إلا فيما خُصص لكلٍ منهما، كما وضح الحديث أنَّ المرأة هي النصف الآخر للرجل.

ثالثًا: لو كانت شهادة المرأة في المطلق تعادل نصف شهادة الرجل لكان هذا من باب أولى ينطبق على الشهادات المتعلقة بالدين وشرائعه!.
حيث إننا نجد عائشة رضي الله عنها قد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ألفي حديث، والمتفق عليه أكثر من مائة وخمسين حديثًا، فهل جاء عالمٌ ذات يوم وقال لا نأخذ بروايات عائشة إلا بعد أن تأتي بامرأةٍ تشهد معها لأنَّ شهادتها ناقصة؟! لم يحدث هذا قط، بل علَّمت عائشة رضي الله عنها كبار الصحابة من الرجال هذه الأحاديث، وكونها روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذن هي تشهد بذلك أنها سمعت منه كذا وكذا أو رأته يفعل كذا كذا، ومن هنا يتبين أنَّ الأمر ليس كما يظن هؤلاء المستشرقون والمشككون، وليس في الأمر أي انتقاصٍ للمرأة.

رابعًا: الآية تتعلق بالأمور المرتبطة بمجالس الرجال كالديون والعقود وغير ذلك كما بين الله تعالى:(إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...) (البقرة) ٢٨٢ .

فهناك أمورٌ تتعلق بمجالس الرجال جعل الله فيها شهادة الرجل أقوى من شهادة المرأة، كما أنَّ هناك أمورٌ تتعلق بمجالس المرأة سنوضح شيئًا منها فكانت فيها شهادة المرأة تفوق شهادة الرجل، وهذا لحرص الإسلام على ردِّ المظالم والأمانات والحقوق لأهلها، فكيف يُذم الشيء بما يجب به مدحه؟!

من الطبيعي أو الأصل أنَّ الرجل هو الأكثر احتكاكًا في المعاملات المادية والعقود وما شابه، فكان من الأحوط أن تكون شهادة الرجل في هذه الجزئيات تفوق شهادة المرأة، فضلًا عن أنَّ المرأة قد تمرُّ ببعض الظروف القهرية -كالعادة الشهرية- التي أكد فيها الأطباء أنَّ المرأة وقتها تمرُّ ببعض الاضطربات النفسية، وهذا قد يؤثر عليها وعلى تركيزها وليس على ذكائها وقت الشهادة في هذا الأمر، فقال تعالى:

(فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (البقرة)٢٨٢.

فقد أوضح الله عز وجل العلة وهي أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، وليس في هذه الآية ولا في القرآن كله أي انتقاصٍ للمرأة، أو أن هذا مثلًا بسبب قصورٍ في عقل المرأة.. كما أنَّ في بعض الدول الأوروبية لا يعتبرون بشهادة المرأة أثناء دورتها الشهرية لأنَّ هذا قد يؤثر عليها في الشهادة.

خامسًا: أما في الأمور التي تتعلق بمجالس المرأة فقد لا يُعتدُّ بشهادة الرجل من الأساس، ويؤخذ بشهادة المرأة فقط كشهادة المرأة في إثبات النسب أو الرضاع وغير ذلك.

فقد تشهد امرأةٌ على أنَّ هذا الرجل رضع على هذه المرأة خمس رضعاتٍ مشبعات، وتثبت أنه أخٌ لها في الرضاعة، وتمنع زواجًا كان ممكنًا أن يقع، وهنا تعدُّ وتعتبر شهادة المرأة لأنها الأعلم بمثل هذه الأمور والأكثر احتكاكًا بها.

لأنها قد حضرت هذه الرضعات بنفسها، في حيث إنَّ الرجل ليس له شهادةٌ معتبرة في هذا الأمر؛ لأنَّ الطبيعي أنه لم يحضر في المكان الذي تقوم فيه النساء برضاعة الأطفال .

كما أنه لو أنَّ هناك حالة اختلاط نسبٍ بين طفلين لامرأتين وأُشكل عليهم أيُّ الأطفال يُنسب لأيٍّ من الأمين؛ فلو كانت حاضرةً وقت الولادتين يؤخذ بشهادتها ولا يؤخذ بشهادة الرجل، ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأنواع من الشهادات أخطر من شهادة الدَّين.

سادسًا: أيضًا قد وضَّح القرآن أنَّ المرأة قد تفوق بشهادتها شهادة الرجل في حالةٍ خطيرة كحالة (الاتهام بالزنا)، كما قال تعالي:

(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)). (النور)٦

وفي هذه الحاله فإنَّ القرآن يُقرُّ بأنَّ شهادة المرأة أكبر من شهادة الرجل في أمرٍ يُعتبر من أعظم الأمور؛ لأنه متعلقٌ بالشرف والحدود كحدِّ الزنا للمحصنة وهو الرجم حتى الموت، فإن شهدَ الرجل بالله على زوجته أربع مرات وعلي نفسه مرة ثم قابلت شهادة الرجل أربع شهادات من المرأة عليه وشهادة على نفسها يدرأ عنها العذاب.

سادسًا: جعل الإسلام شهادة المرأة تعادل شهادة الرجل حيث قال سبحانه (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ..) (البقرة) ١٨٥.
وهذه الآية تشمل الرجل والمرأة، فإن شهدت المرأة الشهر فعليها صيامه ولا فرق بين شهادتها وشهادة الرجل في هذه الحالة.
سابعًا: القاعدة العامة في الإسلام أنَّ الرجل والمرأة قد خُلقوا من نفسٍ واحدةٍ قال تعالي:
(وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) (الأنعام)٩٨.
وهذا دليلٌ واضحٌ بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، والتي تشمل المساواة بينهم حتى في الشهادة.
الخلاصة:
•الإسلام لم ينتقص المرأة بل كرَّمها أفضل التكريم
•الإسلام لم يجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في المطلق، بل جعل ذلك في الأمور التي تتعلق بمجالس الرجال؛ كما أنَّ الإسلام جعل شهادة المرأة تفوق شهادة الرجل في الأمور التي تتعلق بمجالس النساء، وهذا من تمام هذا الدين وكماله وحفظه للحقوق.

الادعاء الثامن:

الإسراء والمعراج!

القرآن مليء بالخرافات:

ما هذا الدين المليء بالخرافات؟ كيف تؤمنون بدينٍ يدعي فيه نبيكم أنه ركب دابةً وانتقل بها من مكة إلى بيت المقدس في جزءٍ من الليل ثم عُرج به في نفس الليلة بعد ذلك إلى السموات السبع في رحلةٍ طويلة ثم عاد وفراشه مازال دافئًا؟! أليست هذه خرافةٌ لا يصدقها عقلٌ ولا منطق؟!

الإجابة:

أولًا: لا يوجد مسلمٌ على وجه الأرض آمن بالإسلام أو اعتنقه بسبب معجزةٍ من المعجزات أو خارقةٍ من الخوارق..

فمن هذا الذي آمن بالإسلام ورسوله بسبب أنه سمع بقصة الإسراء والمعراج، أو بسبب خارقة إكثار الطعام أو غير ذلك؟ لا يوجد.

لأنَّ الطريق إلى الإسلام لا يأتى بالإكراه ولا بالخوارق الحسيَّة، قال تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [٧٠].

وقال سبحانه:

---

[٧٠] القرآن ، البقرة ، ٢٥٦

(إن نَشَأ نُنَزِّلْ عَلَيهِم مِنَ السَّمَاءِ آيةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِين).[٧١]

يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن ينزل بيننا خوارق حسّية في كلّ وقتٍ وحين تجعلنا نخضع له ونسلم دون تفكير ونظر..

إنما الطريق إلى الإسلام يأتى بالبرهان الذي يملأ القلوب والنظر العقلي.

ثانيًا: هناك فرقٌ بين الخوارق والخرافات.

الخوارق: هي أشياء تحدث على غير المألوف تنكسر بها قوانين الطبيعة ويقوم بها ما يملك القدرة على ذلك.

أما الخرافات: هي ادعاءاتٌ كاذبة خارجة عن قدرة المخلوق الضعيف القاصر المحدود، كمن يدعي أنه يطير على مكنسةٍ خشبية أو يدعي أنه رأى كائناتٍ فضائية مثلًا!.. وغير ذلك.

ثالثًا: نحن لا نقول أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي فعل ذلك بقدرته؛ لكن نقول أنَّ الذي اخترق قوانين الطبيعة وسخَّرها لعبده محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء هو الله سبحانه وتعالى، وهو مطلق القدرة، وهو الذي خلق الكون من عدم بما فيه من مجراتٍ وكواكب ونجوم وشموس وأقمار، وسماوات وأراضين

---

[٧١] القرآن ، الشعراء ، ٤

وبحار وأنهار وجبال، ومخلوقات متعددة من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ وجماد، وهو الذى أوجد قوانين الطبيعة وفعلها وسيرها.
فياترى أيهما أشدُّ وأعظم؛ خلق الكون بما فيه أم خرق قوانين الطبيعة؟!
بالطبع خرق قوانين الطبيعة أهون وأيسر.
فالبتالي هذا شيءٌ لا ينافي العقل والمنطق.

رابعًا: الإنسان الضعيف القاصر يستطيع أحيانًا خرق بعض القوانين؛ على سبيل المثال فأبسط قوانين الطبيعة هي أن ١+١= ٢ ، فلو كنت تملك ألف جنيهٍ في بيتك وألفًا في البنك ثم جاء لصٌ محترف واخترق حسابك البنكي وسرق الألف التي بالبنك، وجعل حسابك ألفًا بدلًا من ألفين، أليس هذا اختراق؟
بل قانون الجاذبية -الذي يعرفه الجميع- يقول أنَّ التفاحة لو انفصلت عن الشجرة ستسقط للأسفل، في حين أنك تستطيع وضع يدك تحت التفاحة وتمنع سقوطها للأسفل، وبذلك تكون اخترقت قانون الجاذبية لجزءٍ من الوقت؛ فإن كان هذا حال الإنسان الضعيف القاصر فكيف حال الخالق القدير مطلق القدرة؟!. فهل يعجز عن خرق القوانين التي وضعها؟!
بالطبع لا يعجز عن ذلك.
خامسًا: كيف تعترض على أنَّ الخالق القدير العليم القوي يقدر على اختراق قوانين الطبيعة ويسخِّرها لعبدٍ من عباده في وقتٍ ما وتعتبرها خرافة؛ في حين أنك كملحد تعتقد أنَّ هذا الكون الفسيح الضخم المتقن المنضبط بما فيه من مخلوقاتٍ بالمليارات وكلٌّ

مخلوقٍ فيه ألف عقدةٍ، وما في الكون من ثوابت كونيةٍ وضبطٍ دقيق جاء هكذا عن طريق الصدفة والعشوائية والقدر الأعمى؟! فيا تُرى مَن منَّا الذي يعتقد بالخرافات؟! ألف ألف تعجب!!.

وأخيرًا: الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء ليحرِّر العقول ويردع الخرافات؛ فلولا الإسلام لظلت الناس تعبد (الأصنام والأوثان والأشجار ظنًّا منهم أنها تنفع، ولولا الإسلام لظلَّ البعض يظنُّ أنَّ المرأة مخلوقٌ أحقر من الرجل كـ (أرسطو) و(أفلاطون) وغيرهما من فلاسفة اليونان، ولولا الإسلام ....) اترك القوس مفتوحًا للخرافات التي تقع خارج دائرة الإسلام.

الادعاء التاسع:

انتشر الإسلام بالسيف، فدينكم دينُ دمٍ وقتلٍ وسيف.

أولًا: الغزوات والسرايا في ذاتها دليلٌ على صحة الإسلام وليست شبهة لو تدبرناها حق التدبر، لأنه دائمًا من يخوض حربًا فإما أن يكون على حقٍّ ولن يخشى الموت لأنه يدافع عن قضيةٍ ما ويعلم أنَّ بعد الموت جنةً تنتظره؛ وإما أن يكون على باطلٍ يريد اغتصاب البلاد لينعم في دنياه،
ولو كان على باطلٍ ويحارب من أجل باطل فلن يخوض الحرب إلا إذا كان أقوى مِمَّن سيخوض ضدهم الحرب، ويكون واثقًا من الفوز

حتى لا يخسر حياته، لأنه لو لم يكن قويًّا فيستحيل أن يخوض حربًا حتى لا يخسر دنياه التي يعيش من أجلها..

ثانيًا: لو افترضنا أنَّ الإسلام دين دمٍ ودين قتل، إذن يستحيل أن يكون من عند الله لأنه لا تتناسب الدموية مع الإله، وسيكون وقتها دينًا بشريًا وضعه محمد صلى الله عليه وسلم، وما دام وضعه من تلقاء نفسه وادَّعى النبوة، إذن يريد من وراء ذلك دنيا ينعم بها، ويريد أن يملك الدنيا حتى يتلذذ بنعيمها؛ وقد اتفقنا أنَّ طالب الدنيا يستحيل أن يخوض حربًا وهو في شكٍّ أن ينهي حياته فيها، بل لابد أن يضمن الفوز.

ثالثًا: لو نظرنا في حال معظم الغزوات التي خاضها النبي والمسلمون، ستجدها -عقلًا- حروبًا غير مضمونة لعدم التكافؤ، وتجد عدد المسلمين فيها أقل وأضعف بكثيرٍ من عدد مَن يخوضون أمامهم الحرب.
وعلى سبيل المثال لا الحصر:
كان عدد جيش المسلمين في غزوة بدر الكبرى ٣٤٠ مقاتلٍ و فارسين، مقابل ١٠٠٠ مقاتلٍ من مشركي قريش و٢٠٠ فارسٍ، فما الذى يدعو النبي لخوض مثل هذه الحرب غير المتوازنة إلا لو كان على حق؟!

وفي غزوة أحد كان عدد جيش المسلمين ٧٠٠ مقاتلٍ و٥٠ من الرماة و٤ فرسانٍ، مقابل ٣٠٠٠ مقاتلٍ و٣٠٠ جمالٍ و٢٠٠

فارسٍ من مشركي قريش، فما الذى يدفع النبي لخوض مثل هذه الحرب غير المتوازنة لو لم يكن على حق؟!
وغزوة الخندق بين المسلمين والأحزاب، فكان عدد المسلمين ٣٠٠٠ مقاتلٍ مقابل عدد الأحزاب ١٠٠٠٠ مقاتلٍ، فأين التوازن هنا وما الذي يدفع النبي والمسلمين لخوض معركةٍ مع جيشٍ عدده ضعفا جيش المسلمين تقريبًا لو لم يكن النبي على حق؟!
وغزوة خيبر بين المسلمين واليهود، عدد المسلمين فيها ١٥٠٠ مقاتلٍ وعدد اليهود ١٠٤٠٠ مقاتلٍ أي ما يعادل تسعة أضعاف جيش المسلمين تقريبًا، فما الذي يدفع النبي والمسلمين لخوض مثل هذه المعركة لو لم يكونوا على حق؟!
وغزوة مؤتة التي كانت بين المسلمين والرومان البيزنطيين، وكان عدد المسلمين ٣٠٠٠ مقاتلٍ مقابل ٢٠٠٠٠٠ ألف من الروم وعرب النصارى! يعني المقارنة غير منطقية أساسًا!.

وغزوة حُنين التي كان عدد المسلمين فيها ١٢٠٠٠ وعدد جيش قبيلتي هوزان وثقيف ٣٠٠٠٠، أكثر من ضعف عدد المسلمين!.
وغزوة تبوك التي كانت بين المسلمين والروم وكان عدد المسلمين فيها ٣٠٠٠٠ مقابل جيش الروم ٤٠٠٠٠
فلو كان النبي طالب دنيا وليس نبيًا من عند الله فما الذي يدفعه لخوض معارك غير متوازنة القوى مثل هذه؟! لأجل ماذا؟! وما العائد عليه؟!
رابعًا: الإنسان الدموي والسفاك دائمًا يذهب لمن هم أضعف منه ليغتصب أموالهم وبيوتهم، ويحارب العُزَّل من السلاح.

لكن غزوات الإسلام كما ذكرت لك كانت بين قوتين والقوة الأضعف عدة وتعدادًا هم المسلمون، ومع ذلك كانوا دائمي الانتصار وهذا فضل الله وحده.

خامسًا: هل رأينا النبي الذي هزم أكبر جيوش الدنيا آن ذاك جنى لنفسه من وراء تلك المعارك قصورًا ومنازل؟ أم كان يربط على بطنه الحجر والحجرين من شدة الجوع، وتوفي ودرعه مرهونٌ عند يهودي؟!

كل هذا يدعوك للتدبر والتأمل ستعي وقتها أنَّ الإسلام لم يكن دين قتلٍ ولا دين سفك، والغزوات لم تكن غايةً بل وسيلة لردع باطلٍ ونشر حقٍّ.

الادعاء العاشر:

سؤال: كيف يكون دينٌ من عند الله ويحرِّض على القتل، والأغرب أن يكون القتل في سبيل الله كما قال ربُّكم (وَقَاتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ..)؟![٧٢]

الإجابة:

بدايةً، قد بينتُ في الردِّ على الشبهة السابقة أنَّ الغزواتِ والسرايا -في ذاتها- دليلٌ على نبوة الرسول وصحَّة الإسلام، وقدَّمت الأدلة على ذلك.. وتستطيع الرجوع لها مجددًا.

---

[٧٢] القرآن ، البقرة ، ١٩٠

والآن يأتي الردُّ على الادعاء:
أولًا: هل سمعت يومًا أنَّ العدد واحد قد يساوي نحو سبعة مليار ونصف من قبل؟!.. بالطبع لا، في الإسلام قد يساوي العدد واحد سبعة مليارٍ ونصف ولكن كيف؟!
الله عزَّ وجلَّ قال في كتابه (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [٧٣]

هذه الآية شدَّد الله فيها وبيَّن جُرم وحرمانية قتل النفس دون وجه حق، ولم يقل في الآية مَن قتل مسلمًا أو مؤمنًا، بل قال من قتل نفسًا، يعنى أي نفسٍ كانت مسلمةً كافرةً ملحدة.. دون وجه حق، فهذا القتل يعادل عند الله قتل

الناس جميعًا؛ أي ما يعادل عدد سكان الأرض وهم قرابة سبعة مليار ونصف! فبالله عليك دينٌ مثل هذا كيف يوصف أنَّه دين قتل؟! مثل هذه الآية لن تجدها في أي دستورٍ أو دينٍ آخر، وأتحدى الدنيا بها.

ثانيًا: آيات وأحاديث النهي عن القتل كثيرةٌ جدًا، وديننا فيه كفاراتٌ وديات على من تسبب في قتل الإنسان بالخطأ، فمثل هذا أين تجده؟!

---

[٧٣] القرآن ، المائدة ، ٣٢

ثالثًا: القتل يكون في حالاتٍ معلومة وشرعية ومقبولة جدًا؛ كحالات الحرب والدفاع عن النفس من المغتصبين وغيرهم، وهذا متعارفٌ عليه في كل بقاع الأرض، وليس من الصحيح أن يكون الإنسان عاجزًا مكتوف الأيدي وهو يرى أرضه تُغتصب وحياته تنتهك!.

فلمثل هذا ولأنَّ الإسلام دينٌ شامل لم ينظر للحياة نظرةً أحادية بل نظرة عامةً شمولية؛ فنظم لنا حياتنا السلمية وكذا حياتنا الحربية، فقال تعالى الآية التي ذكرت أنت جزءًا منها في سؤالك مقتطعًا لباقي الآية، قال سبحانه: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).[٧٤]

يظهر من الآيه الكريمة أنَّ للقتل شرطين وهما:

١-أن نقاتل من يقاتلونا فقط وهذا طبيعي جدًا ومشروع.

٢- ألَّا نعتدي حتى في وقت القتال.

ومعنى (لا تعتدوا) بينتها السنَّة وحققها المسلمون، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بعدم الاعتداء في الحرب على الشيخ الكبير ولا الطفل ولا المرأة.

وأبو بكر رضي الله عنه كان يأمر المسلمين في حالة الحرب ألَّا يقتلوا شيخًا كبيرًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأةً ولا يقطعوا شجرةً

---

[٧٤] المصدر السابق ، البقرة ، ١٩٠

مثمرةً ولا يقتلوا بهيمةً دون مأكلةٍ ولا يهدموا معبدًا أو كنيسة أو ديرًا ولا يخربوا عامرًا.

فيتضح لكلّ مُنصفٍ طالب حقّ أنَّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي وضع أخلاقًا حربية لم يشهدها العالم من قبل؛ فتجده احترم الإنسان في حربه وكذا الجماد والحيوان، فأين تجد مثل هذا في أي دينٍ أو دستورٍ آخر؟!
في حين أننا نرى الآن من يقذف بقنبلةٍ نوويةٍ على أرضٍ يريد احتلالها فيدمر بها من لا ذنب له قبل صاحب الذنب، ويدمّر معها النبات والحيوان والجماد.. ثم تأتي بعد هذا وتقول ديننا دين قتل؟! فكيف تفكرون وتعقلون؟!

الادعاء الحادي عشر:

سؤال: وبعد توضيح جهاد الدفع وبيان أنَّه أمرٌ مشروع، فيأتوا بإثارة جهاد الطلب.
الإجابة:

كما عوَّدتك تعالَ أضرب لك مثالًا واقعيًا لنقيس عليه ما هو جهاد الطلب وهل مشروع أم لا؟!

أنا أعمل مديرَ مطعمٍ بـ (المملكة العربية السعودية)، وبعد انتشار وباء (كورونا المستجد) وجدتُ عدة هيئات مختلفة من وزارة

الصحة والبلدية والشرطة دخلوا علينا بعددٍ كبير من السيارات وتوجهوا إلى سكن العاملين بالمطعم لمعاينته، ثم جاء بعدها مالك المطعم ليعرف طلباتهم.
وبعد معاينة الهيئات لسكن العاملين اعترضوا على معظم التنظيمات الموجودة بالسكن؛ وأمرونا بتقليل عدد العاملين حيث يكون لكلِّ عاملٍ مساحة ١٢ مترًا مربعًا، وتزويد السكن بمنافذ تهوية، وشفاطات، وتزيود السكن بمطبخ مركزي يكون من (الاستانليس)، وإلزامنا بتجهيز مكانٍ مخصص للطعام، حيث لا يأكل العامل داخل غرفته، وإلزامنا بوضع
إرشاداتٍ صحية بكافة لغات العاملين بالمطعم ليفقهوا الاحترازات المطلوبة للوقاية من الفيروس، وإلزامنا بتزويد السكن بالمُطهرات والكحولات والمعقمات والكمامات والقفازات، وألزمونا بتوقيع عقدٍ مع شركة نظافة تأتي كل يوم لتصبح مسؤولةً عن سكن العاملين وغيرها من الطلبات التي تحتاج إلى وقتٍ ومال.

والآن أريدك أن تتخيل معي لو منعهم صاحب المطعم من الدخول ورفض تنفيذ كل شروطهم، بحجَّة أنه صاحب المطعم وصاحب السكن ومالكه، ثم قال لهم ليس من حقِّكم ولا شأنكم وهذا ليس مطعمكم!
فماذا سيكون ردُّ فعل وزارة الصحة والشرطة والبلدية؟!
بالطبع ستلزمه وإلا ستغلق المطعم، ولو تجاوز سيُسجن لا محالة؛ ولو رفع عليهم سلاحًا وحاول قتلهم سيقتلوه على الفور، أليس كذلك؟!

ووقتها لن يتعجب أحدٌ من فعل الشرطة بل سيتعجبون من اعتراض صاحب المطعم، لعدم اكتراثه واهتمامه بصحة العمال، وسيتغنون بفعل الشرطة وأنها ما فعلت ذلك إلا لصالح الإنسان والشعب والمجتمع..

والآن ننتقل إلى جهاد الطلب؛ الأرض كلها هي أرض الله وحده وليس لها مالكٌ سواه، وهو الذي أرسل نبيَّه بتبليغ الناس بدستوره ودينه لتنضبط حياتهم وتسعد وتنعم وتستقيم..
ولأنَّ الإسلام دينٌ نزل للعالمين فكان واجبًا على رسول الله نشرُه في كل أنحاء الدنيا حتى لا يكون لأحدٍ حُجة عدم التبليغ، فكان النبي يرسل رسالةً لكل حاكم دولةٍ ويخبره فيها بدين الإسلام.
فلو رفض الحاكم قبولها كان تدخُّل المسلمين بلده طلبًا لتبليغ الدعوة ونشر الحق، ولم تكن غايتهم الحرب مطلقًا، فلو تصدى لهم أحدهم بالقتال فكان واجبًا عليهم أن يقاتلوه كما يقاتلهم، لأنَّ من يتصدى لهم هو لا يخشى على العامة شيء، بل يخشى على حُكمه وماله وقصوره وسلطانه وبطشه وشِركه..
وكما شكرنا الشرطة على أنها سعت لتوجيه الناس للوقاية من المرض، فعليه -والأولى- أن نشكر الله ورسوله على أنه سعى لنشر الحقِّ وتوجيه الناس للوقاية من النار.
علمت الآن أنَّ جهاد الطلب ما هو إلا خيرٌ ورحمة للعالمين؟!

الادعاء الثاني عشر:

لماذا جاء الإسلام باستعباد واسترقاق الناس؟ لو كان من عند الله حقًا لساوى بين الناس جميعًا؟
الإجابة

هل الإسلام هو الذي جاء بالاسترقاق والاستعباد كما يظنُّ البعض أو يروج البعض لذلك؟
في الحقيقة إنه لا، بل الإسلام جاء ليُخلِّص الدنيا من الاستعباد والاسترقاق وليحقق العدل والمساواة بين الناس أجمعين.
وقبل التعرُّف على معالجة الإسلام للاستعباد والاسترقاق تعالوا لنعرف كيف كان حال الدنيا مع العبيد قبل الإسلام؛ فلكي تعرف قيمة النور لابد أن تعيش في الظلام، ولكي تعرف قيمة الشبع لابد أن تشعر بالجوع ولو قليلًا؛ وكذا لكي تعرف كيف تعامل الإسلام مع الرقِّ وكيف أخرجهم منه لابد أن تعرف كيف كان حال الرقيق قبل الإسلام .

أولا: الإسلام لم يأتِ بالاستعباد والاسترقاق؛ بل جاء الإسلام والرقُّ والاستعباد للبشر شائعٌ ومتجذر في أعماق الإنسانية، وتكشف الدراسات التاريخية عن أنَّ الإنسانية بلغت في التعامل مع الرقِّ أحطَّ المنازل واتسمت بأقبح الصور، وقد عانى الإنسان الرقيق ألوانًا من الآلام وصنوفًا من الإهانات والإذلال؛ كالخطف

من قبل قراصنة البشر، والنهب والسطو، والضغط من الملوك والطبقات العليا، وكان الرقيق يُحمَّل من المشاق والمتاعب ما تعجز عن حمله الحيوانات؛ ففي الفكر اليوناني كان (أفلاطون) يرى أنَّ العبد محرومٌ من حقِّ المواطنة، وأما (أرسطو) فقد جعل كلمة (المواطنة) مرادفة لكلمة (الحرّ)، وأما القانون الروماني فلم يكن يعد الرقيق إنسانًا له حقوق؛ بل كان يعده آلةً من الآلات، وفي العصور الوسطى في أوربا قد ساء نظام الرقِّ جدًا، وكان الرقُّ يباع ويشترى مع الأرض كأنه جزءٌ منها أو آلةٌ من آلاتها.
وتلك الأنظمة لم تكن تعترف للرقيق بحقِّ الزواج إلا إذا خشوا انقراض نوع الرقِّ فكانوا يزوجونهم للإتيان بمزيدٍ من الرقِّ!.

كما أن الإسلام جاء وللرقِّ وسائل كثيرة لبطشه كالنهب وسرقة الأطفال والنساء والخطف عن طريق القراصنة، وبيع النفس عن الفقر والعَوز، وغير ذلك؛ حتى جاء الإسلام ليخلِّص الدنيا من الاسترقاق والاستعباد وهذا من خلال ثلاثة سبل ألا وهي:

السبيل الأول:

سدَّ كلَّ منافذ ومنابع الرقِّ ولم يبقِ إلا على منبعٍ واحد ألا وهو الاسترقاق عن طريق الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار، ولا يسترق إلا من حضر أرض المعركة؛ والدليل الحديث القدسي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قال الله: ثلاثةٌ أَنَا خَصمُهُم يومَ

القِيامةِ: رَجلٌ أَعطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، ورَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأكلَ ثَمَنَه، ورَجُلٌ استَأجرَ أَجِيرًا فاستَوفَى مِنهُ ولَم يُعطِهِ حَقَّه).

وبعد ما سدَّ الإسلام كل المنافذ التي يدخل من خلالها الرقُّ وبقي على منفذٍ واحد، إلا أنه وضع شرطين لهذا المنفذ الوحيد وهما:

١-استرقاق الكفار في حالة الحرب المشروعة.

٢-ومن حضر منهم الحرب، ومَن لم يحضر منهم لا يجوز استرقاقه.

ولكن قد يسأل سائلٌ لماذا بقي الإسلام علي هذا المنبع، ولمَ لم يغلقه أيضًا؟

وهنا نوضح أمرين:

الأمر الأول: أنَّ الإسلام دينٌ شامل جاء ليراعي كل ظروف الحياة، وجاء ليعالج ما أفسده من كانوا قبله، ولو سدَّ الإسلام هذا المنبع لبقيت مشكلة الرقيق كما هي ولازداد عدد الرق؛ فالإسلام أراد أن يفتح لهم بابًا ليدخلوا منه ثم يعالج ويصلح ما أفسده غير المسلمين في نفوسهم، كما سنتعرف على طرق علاج نفس الرقيق في السبيل الثالث إن شاء الله .

الأمر الثاني: أنَّ هذا قد يكون من دهاء الحرب لأنَّ غير المسلمين من المحاربين حينما يعلمون أنَّ المسلمين يسترقون المحاربين الذين حضروا أرض المعركة يتراجع البعض منهم قائلين: لو سلمنا من الموت لربما لا نسلم من الاسترقاق.

فكان هذا الباب المنفذ الوحيد للاسترقاق بمثابة علاجٍ لنفوس المسترقِّين، وللضغط على المحاربين.

السبيل الثاني:

كما أنَّ الإسلام أغلق كل منافذ دخول الرقِّ أيضًا توسَّع في منافذ تخلص الرق وأهم هذه المنافذ:

١ – العتق عن طريق التطوُّع: فقد حثَّت الشريعة الإسلامية على تحرير الرقيق ورتبت عليه أجورًا كبيرة ، قال صلى الله عليه وسلم:

"مَن أَعتَقَ رَقَبَةً مُسلِمَةً، أَعتَقَ اللهُ بكلِّ عُضوٍ مِنهُ عُضوًا مِن النَّار، حتى فَرجَهُ بفَرجِه".. رواه البخاري ومسلم.

وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "دُلَّني على عَمَلٍ يُقَرِّبُني منَ الجَنَّةِ، ويُباعِدُني منَ النَّارِ، قال: لَئنْ كُنتَ أقصَرْتَ الخُطْبةَ، لقد أعرَضْتَ المَسْألةَ، أعْتِقِ النَّسَمةَ، وفُكَّ الرَّقَبةَ ... "

٢- العتق عن طريق الكفَّارة: فقد جعلت الشريعة إعتاق الرقاب وتحرير الرقيق خيارًا رئيسيًا من خيارات كفارات عددٍ من الذنوب، ومنها حالة القتل الخطأ كما قال تعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا(٩٢) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا(٩٣)) [النساء:٩٢، ٩٣]. وغيرها من الكفارات التي استوجب فيها تحرير رقبة.

٣- العتق عن طريق الزكاة: فقد جعلت الشريعة عتق الرقِّ من ضمن الأصناف التي يدفع فيها الزكاة كما قال تعالى:
(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٦٠)).(التوبة)
والمراد بقوله سبحانه: (وفي الرقاب) أي أنه مما تدفع فيه الزكاة يشتري من مال الصدقة رقيقًا ثم يعتقهم .

٤- العتق عن طريق المكاتبة: وهي تخليص الرقِّ عن طريق مكاتبة عقد بين الرقيق وسيده مقابل مالٍ يدفعه الرقيق له؛ وقد دلَّ عليها قول الله تعالى (وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ....) (النور٣٣)
بل ونجد في هذه الآية أنَّ الله أمر السيد بإعانة الرقيق في مكاتبته وأن يؤتيه من مال الله إن عجز عن السداد.
وغير ذلك من منافذ التخلُّص من الرقِّ التي وضعها الإسلام .

السبيل الثالث:

فكما أنَّ الإسلام عالج الأمور المتعلقة بالرقِّ ابتداءً وانتهاءً عن طريق تقليص منابع الحصول على الرق وجعلها على منفذٍ واحد، وتوسيع منافذ التخلص من الرق، إلا أنه اهتم أيضًا بالإصلاحات الداخلية؛ فذهب إلى أعماق نفس الرقيق ليحرِّرها روحيًّا وعاطفيًا، ويرد له إنسانيته، ولربما هذا السبب الأساسي الذي جعل الإسلام يبقي على منفذٍ واحدٍ للاسترقاق أثناء الحرب المشروعة، وهذا عن طريق عدَّة تشريعات منها:

١ – التأكيد على المساواة في أصل الإنسانية والآدمية، وقد أعلن الإسلام ذلك حينما قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...).(الإسراء ٧٠)
أي كل بني آدم سيدهم وعبيدهم مُكرَّمين.
وقوله عز وجل:
(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...) (الحجرات١٣)
فجعل الله الناس سواءً ولا فرق بينهم إلا بتقوى القلوب .
وكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"يَا أَيُّهَا النَاسُ أَلَا إنَّ رَبَّكُم وَاحدٌ وإنَّ أباكُم وَاحِدٌ، ألا لا فَضلَ لعَرَبِيّ عَلى أَعجَمِي، ولا أَعجَمِيٍ على عَرَبِيٍ ولا أحمرَ على أَسوَد، ولا أَسوَدَ على أَحمرَ إلَّا بالتقوى".
وهذا الحديث جاء يشمل كلَّ الناسِ سواء كانوا أحرارًا أو رقيق.

٢ – المساواة في الأجر الأخروي: قال تعالى:
(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٩٧)) (النحل).
والآية جاءت لتشمل كلَّ من عمل صالحًا من ذكرٍ أو أنثى، حرٌّ أوعبد.

٣ – إثبات الأخوة الإيمانية بين السيد والعبد، الحرُّ والرقيق، قال صلى الله عليه وسلم:
" هم إخوانكم خوَلُكم جعَلَهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعِمْه ممَّا يأكلُ ويُلبِسْه مما يلبَس ولا تكَلِّفوهم ما يغلِبُهم، فإنْ كلَّفتُموهم فأعينُوهم...".
وهذا الحديث يؤكد على البعد الأخوي بين السيد والرقيق.
وكما هو معلومٌ حتى في زمننا هذا أنَّ الغني قد يجلب بعض الخادمين والخادمات ليساعدوه في مهام الحياة؛ ولكن أحيانًا يكلفهم فوق طاقتهم ويعطيهم فتات طعامه.. إلخ، فجاء الإسلام لينكر مثل هذه التصرَّفات القبيحة وأكد على الأخوة فيما بينهم.
٤ – الأمر بالإحسان إليهم وإكرامهم:
كما قال تعالى:
(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). (النساء٣٦)

ومما يثير الاهتمام والعجب موقف الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصيته بملك اليمين قبل وفاته، ومن المعروف أنَّ الإنسان إذا أقبل على وصيته قبل وفاته فهو يوصي بأهم ما عنده وأغلى ما عنده، والنبي الكريم الذي حمل همَّ الأمة كانت آخر وصاياه عند موته "الصلاةَ الصلاةَ، ومَا مَلكَت أَيمَانُكُم" وجعلها قرينةً بالصلاةِ التي هي أهم ركنٍ من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهذا إن دلَّ فهو يدل على حرص واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بهم.
وغيرها من الأمور التي أعلن عنها الإسلام لبناء ما تمَّ هدمه من قبل الإسلام للرقيق.

بل خرج من الرقيق والعبيد في الإسلام فقهاءٌ وعلماء؛ علماءٌ وكان لهم أثرٌ بالغ في العلوم الإسلامية، كما أنَّ (بلال) رضي الله عنه الذي كان يُنعت قبل الإسلام بالعبد الحبشي الأسود أصبح بعد الإسلام مؤذنَ الرسول وصحابيًّا جليلًا من صحابة رسول الله، وكل هذا نتيجة التفاعل الراقي الذي تعامل به الإسلام مع الرقيق.

أما عن الحالات التي ظُلمت وقُهرت على يد بعض المسلمين في عصور المسلمين المتأخرة فهذا مما لاشكَّ فيه يخالف تعاليم الإسلام الواضحة، وقد أعلن الإسلام رفضه لتلك الصور وأخبر بمعاقبة من خالفوا أوامر الله في التعامل مع الرقِّ.
فقد جاء الإسلام ليحلَّ مشكلة الرقيق بصنوفهم، ووصل بهم إلى منتهى الرقي، ولولا الإسلام لكان الرقيق يعاني إلى وقتنا الحالي..

أمَّا عن الادعاء الذي يقول أنَّ الإسلام عجز عن تحقيق تخليص الدنيا من الاستعباد، وأنَّ من حقَّق هذا هم أصحاب الحضارة المعاصرة؛ فهذا إن كان واقعًا على الورق إلا أنَّ الرقَّ مازال باقيًا عندهم وبصورةٍ أقبح من الصور التي كانت في الجاهلية.
ففي النظام الدولي نجد الرقَّ يخرج في صورة الاستعمار للشعوب وانتهاك خيراتها، وقتل رجالها؛ ونجده أيضًا في التمييز العنصري كما شاهدناه في أواخر ٢٠٢٠ ما حدث من قِبَل الضابط الأمريكي الذي قام بقتل مدنيٍّ لمجرد أنه أسود البشرة!.

ولا نقول أنها حالة فردية لأنَّ العدد الذي خرج محتجًا على هذا الفعل من أصحاب البشرة السوداء بالملايين يدل على أنهم يعيشون نوعًا من القهر والإذلال.
بل نجد الرقَّ أيضًا متخفيًّا تحت ستار البغاء وتجارته المعروفة بالرقِّ الأبيض وغير ذلك، إذن فالعالم الغربي لم يفعل أكثر من أنه رفع شعار إلغاء الرقيق لكنه شعارٌ فارغ من المضامين الكبيرة، شعاراتٌ ظاهرها برَّاقٌ أخَّاذ لكنها غير فعالةٍ، وكلُّ أحدٍ يستطيع أن يرفع مثل هذه الشعارات، لكنَّ العبرة بالإصلاحات الحقيقية المؤثِّرة النافعة كما فعل الإسلام.

التوصيات

لأنَّه دائمًا ما تكون الكلمة والقوة لصاحب العلم والعمل والنهضة والأثر،

ولأنَّ القوي دائمًا يملك زمام الحُكم؛ ومن ثمَّ لن يجرؤ أحدٌ على التطاول عليه أو العبث في معتقداته.

فعليه واجبٌ علينا أن نعودَ كما كنَّا في مقدمة الدنيا، والعالم من خلفنا يسير، وبما أننا أمةٌ لا تدخل الجنة بالأماني ولا الإيمان وحده، وأنَّه لابد من العمل الصالح فهو الشرط الثاني من شرطي الجنة، قال تعالى:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(١٢٢))[٧٥].

فعلينا بعدَّة أمورٍ منها:

١-معرفة الله عزَّ وجلَّ حقَّ المعرفة وتوحيده.

٢-معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جملةً وتفصيلًا.

٣-الحفاظ على الصلوات وقراءة القرآن وتدبُّره.

٤-تعزيز اليقين في قلوبنا وقلوب أبنائنا وتعليمهم العقيدة الصحيحة، ومطالبة الإنسان المسلم عامةً والمثقَّفِ خاصةً بضرورة العودة إلى الدين، والتمسك بتعاليمه ومبادئه، وأداء

---

[٧٥] القرآن ، النساء ، ص ١٢٢

الفروض والواجبات الدينية المطلوبة منه، وتثقيف نفسه دينيًّا، والتفقه في أمور الدين، وفي هذا كله يتحقق تحصيل الإنسان المسلم ضد الآراء المنحرفة التي ينشرها المستشرقون وغيرهم.

٥-معرفة ما جاء به الإسلام لنهضة الأمم، وانتشالها من ظلماتِ الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، فمع تقدُّم الأمم الغربية لكننا نعيش في تقدُّمٍ ماديٍّ بحتٍ مع تخلُّفٍ أخلاقيٍّ أكثر مما كانوا عليه في الجاهلية، والمسلمون وحدهم من يملكون في دينهم ما ينظِّم لهم كلَّ جوانب الحياة إذا سعوا لتطبيق دين الله حقَّ التطبيق.

٦-التحرُّر والتحرك من قيود النوم والكسل إلى أرض العلم والعمل.

٧-الدراسة العلمية الواعية المتعمِّقة للاستشراق والتصدي لادعاءاتهم الكاذبة.

٨-مطالبة الحكومات والمؤسسات الدينية القادرة بضرورة التحكُّم فيما تبثُّه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة من مواد فكرية متنوعة، معادية للفكر الإسلامي، ومساعدة على تسرب الفكر الغربي المنحرف إلى المجتمعات الإسلامية؛ كالشذوذ الجنسي، وقصص العشق الممنوع التي تخللت الأفلام والمسلسلات، والأغاني؛ وكذا أفكار النسوية والذكورية المتطرفة.. إلخ.

٩-تنقية الفكر الإسلامي من الأفكار المشبوهة والمشوَّهة التي دخلته عبر السنين بفعل الفِرق والحركات الضالة.

١٠-ضرورة العمل على توفير الكتاب الإسلامي البديل للكتاب الاستشراقي، وبخاصةٍ في اللغات الأجنبية.

والله الموفِّق..

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات وبعد:

فلما تبيَّن بُطلانُ ادعاءات الحركة الاستشراقية ومدى ما أحدثته من بلايا، وما جرَّته على البشرية من رزايا؛ يتجلى لنا مدى حاجة البشرية -بل ضرورتها- إلى الدين الحق، والمنهج القويم، الذي يكفل لها السَير على طريق مستقيمة واضحة، تجد فيها السعادة، وتتحقَّق الراحة.

ولا ريب أنَّ ذلك لا يوجد إلا في الإسلام الذي أكمله الله وارتضاه لعباده؛ فلن تجدَ البشريةُ الراحةَ، ولن تتحقق لها السعادة إلا بالأخذ به، وتطبيقه على جميع مناحي الحياة.

فهذا الدينُ شمل كل جوانب الحياة ووصل بها إلى المنتهى.

الإسلام باختصارٍ هو الدينُ الذي أُمرنا فيه بكلِّ ما هو جميلٌ ونُهينا فيه عن كلِّ ما هو قبيح.

والحمد لله رب العالمين.

تحدٍ بسيطٌ وشامل:

-إذا أردت أن تعرف ما هو الإسلام؛ ضَع إصبعك بشكلٍ عشوائي في أيّ موضعٍ من مواضع الحياة وأي جانبٍ من جوانب الحياة، ثم مرِّره على سائر الأديان والدساتير والأديان، ثم مرِّره على الإسلام.. وبعدها انظر كيف تعامل كلٌّ من الأديان والأفكار مع الإسلام وكيف تعامل الإسلام معه..

ووقتها ستعرف أنَّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي وصل بكل جوانب الحياة إلى المنتهى في المحاسن، والغاية في الكمال، والنهاية في الصلاح...

محمد سيد صالح.

المراجع والمصادر

١-القرآنُ الكريم.
٢-السنَّةُ النبوية المُطهَّرة .
٣- المعجم الوسيط.
٤- (الأندلس من الفتح إلى السقوط) الجزء الأول. دكتور راغب السرجاني. الطبعة الثامنة
٥- (أجنحة المكر الثلاثة) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.. الطبعة الثامنة. ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٦- (الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير) د.عبد الرحمن عميرة. دار الجبير بيروت.
٧- (الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم) الدكتور مصطفى السباعي. دار الورَّاق.
٨ – (الواضح في علوم القرآن) الدكتور مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو . دار الكلم الطيب. ودار العلوم الإنسانية
٩ - شبكة الألوكة الثقافية.
١٠- شبكة جامعة بابل
١١- (لماذا الإسلام وسط الزحام) محمد سيد صالح. دار حروف منثورة. الطبعة الأولى.
١٢ – (محاضراتٌ في النصرانية) الإمام أبو زهرة. دار الفكر العربي.
١٣ – (من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام) الدكتور عبد المنعم فؤاد. مكتبة العبيكان.
١٤- (نقد العقل الإسلامي) دكتورة وفاء العمري
١٤ –(ورَفعنا لكَ ذِكرك) محمد سيد صالح. دار حروف منثورة.

قم بتنزيل برنامج QR CODE Scanner من Play Store لقراءة الأكواد

ضيف هاتف الدار على موبايلك مباشرة

لزيارة موقع الدار

لزيارة صفحة الدار

للتواصل مع الدار واتس آب

مجلة الدار لإصداراتها الورقية

"تحدٍ بسيط وشامل:

إذا أردت أن تعرف ما هو الإسلام؛ ضع أصبعك بشكل عشوائى فى أى موضع من مواضع الحياة وأى جانب من جوانب الحياة ثم مرره على سائر الأديان والدساتير ثم مرره على الإسلام.. وبعدها انظر كيف تعامل كلٍ من الأديان والأفكار وكيف تعامل الإسلام معه..

ووقتها ستعرف أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى وصل بكل جوانب الحياة إلى المنتهى فى المحاسن، والغاية فى الكمال، والنهاية فى الصلاح"

محمّد سير صالح

حاصل على

- ماجستير أصول الدين من الجامعة الإسلامية بمنيسوتا.
- بكالوريوس إرشاد سياحى.
- أكاديمية صناع المحاور لتأهيل المحاور والرد على الشبهات.
- أكاديمية زاد للعلوم الشرعية.
- العديد من الدورات المختصة فى الرد على الشبهات.

تصميم : أحمد جابر

انجازاتــه

- مقدم برامج تليفزيونية على قناة المحبة الفضائية .
- العديد من الحوارات والمناظرات المسموعة والمرئية وعبر السوشيال ميديا .
- دون عدداً من المقالات والأبحاث نشرتها صحف ومواقع إخبارية .

مؤلفاتــه

- كتاب - لماذا الإسلام وسط الزحام؟!
- كتاب - ورفعنا لك ذكرك.
- كتاب - نساء مصر بين التقليد الغربى وعدل الإسلام.
- كتاب - استنشاق دعاوى الاستشراق.